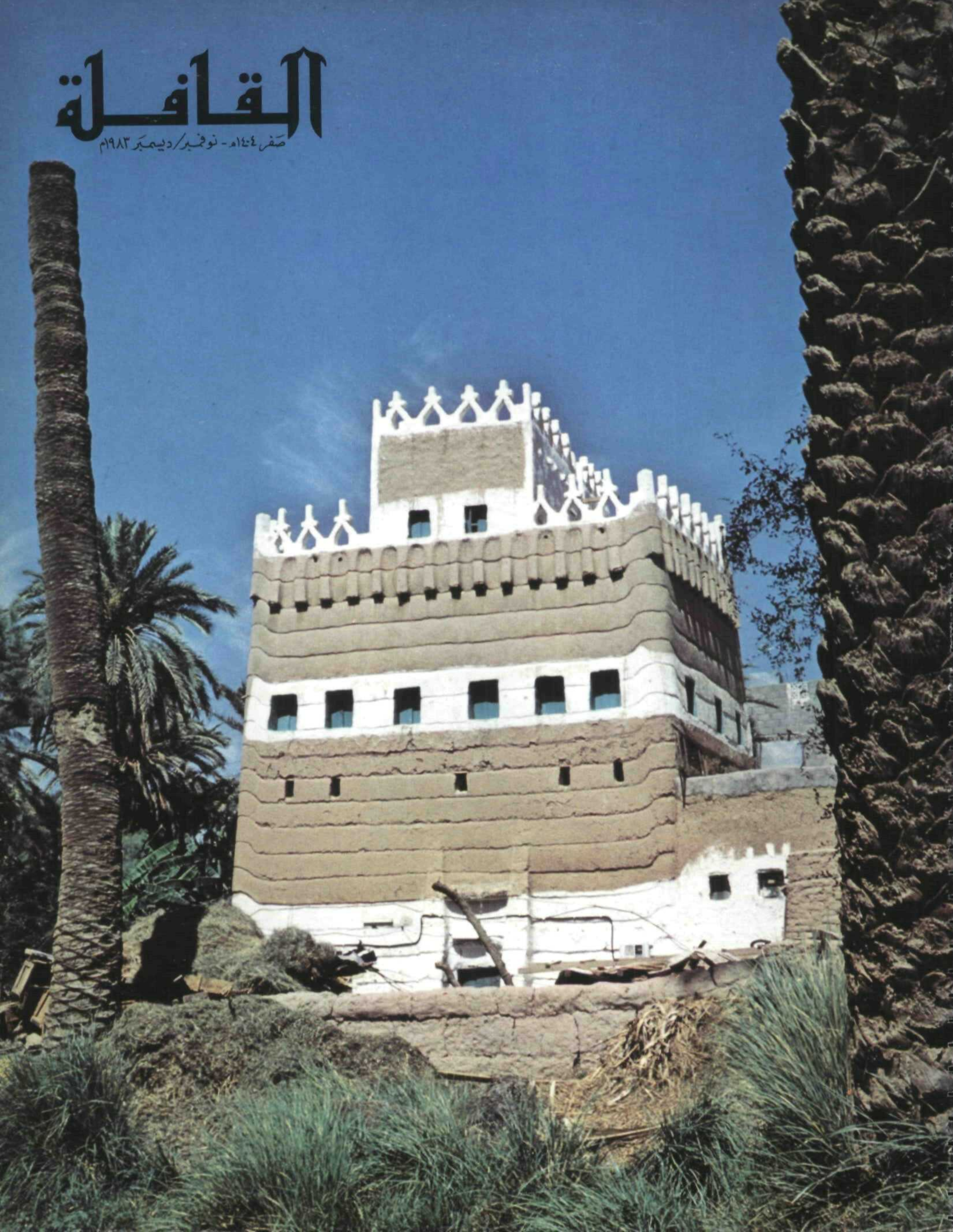

القافلة
صفر ١٤٠٤هـ - نوفمبر/ديسمبر ١٩٨٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

القافلة

- جميع المراسلات باسم رئيس التحرير .
- كل ما ينشر في القافلة يعبّر عن آراء الكتاب أنفسهم ولا يعبّر بالضرورة عن رأي القافلة أو عن اتجاهها .
- تجوز إعادة نشر المواضيع التي تظهر في القافلة دون إذن مسبق على أن تذكر كمصدر .
- لا تقبل القافلة إلا المواضيع التي لم يسبق نشرها .

العدد الثاني / المجلد الثاني والثلاثون

صفر ١٤٠٤هـ - نوفمبر / ديسمبر ١٩٨٣م

تصدر شهرياً عن شركة أرامكو لموظفيها
إدارة العلاقات العامة

العنوان

صندوق البريد رقم ١٣٨٩
الظهران - المملكة العربية السعودية

توزع مجاناً

المدير العام : فيصل محمد البسام

المدير المسؤول : إسماعيل ابراهيم نواب

رئيس التحرير : عبدالله حسين الغامدي

المحرر المساعد : عوني أبو كشك

صورة الغلاف :

نموذج للبيوت النجرانية القديمة التي تعتبر أحد المعالم الواضحة في منطقة نجران.

تصوير: محمد صالح الشبيب

تصميم وطباعة شركة مطابع المطوع - الدمام
DESIGNED AND PRINTED BY AL-MUTAWA PRESS CO. - DAMMAM



٧ المركز الوطني السعودي للعلوم والتكنولوجيا



١٨ نجران بين الماضي والحاضر



بقلم: د. أحمد جمال العمري / القاهرة

القرآن كلام الله المعجز للخلق في تأثير هدايته، المعجز في تشريعاته، المعجز في علومه وحكمه، المعجز في بلاغته وأسلوبه ونظمه، المعجز في كشف الحجب عن الغيوب الماضية.

ومن أبرز القضايا التي أهتم بها القرآن.. فيما يتصل بالانسان: قضية تربية الروح وتوجيهها توجيها سليما، نحو الغاية العظمى التي من أجلها خلق الله الانسان.

فالقرآن العظيم.. وهو دستور العناية الالهية، قد حدد حقيقة الترابط والامتزاج في هذا الكائن البشري.. «الانسان».. فقرر أن الانسان وحدة مترابطة، ممتزجة الأجزاء، لا ينفصم منه روح عن عقل عن جسد. وحين حدد القرآن هذه الحقيقة، اتخذ للروح منهجا دقيقا في التربية والتوجيه.

ان القرآن الكريم يقرر أن الروح هي القاعدة الأساسية التي يقيم عليها الاسلام بناءه كله، توجيهاته الخلقية والفكرية، وتشريعاته وتنظيماته... لذلك أولى القرآن تربية الروح عناية فائقة، لما لها من اتصال مباشر بتربية العقل والجسد أيضا.

وهنا يتبادر الى الذهن سؤال هام.. ما هي الروح؟

هذا السؤال أجاب عليه القرآن اجابة صريحة واضحة.. «**ويسألونك عن الروح.. قل الروح من أمر ربي، وما أوتيتم من العلم الا قليلا**»(١) اذن.. فالروح من أمر الله. فهي بالنسبة لنا شيء مبهم، غامض، ليس له حدود. الروح طاقة مجهولة مبهمة، محجوبة عن الادراك... ومع ذلك فهي حقيقة.

واذا كنا نعتقد أن عملية الادراك، أو عملية التذكر، عملية محسوسة، ومن أجل ذلك نؤمن بوجودها الواقعي، فنحن مخطئون في هذا الاعتقاد. فهي في الحقيقة ليست محسوسة في ذاتها، وانما نحن ندرك نتائجها، ووضوح هذا الادراك بنتائجها هو الذي يغرينا بذلك الظن الخاطىء.

كذلك الطاقة الروحية.. لو تدبرنا الأمر لوجدناها كذلك، انها مجهولة في كنهها، مبهمة غامضة، محجوبة عن الادراك.. ولكن نتائجها ليست مجهولة ولا محجوبة عن الادراك. انها الطاقة التي يتصل بها الانسان بالمجهول، بالغيب المحجوب عن الحواس. فالاستشفاف مثلا عملية من عمليات الروح.

- الحلم التنبؤي من عمليات الروح.
- التخاطر عن بعد — كحادثة عمر الشهيرة مع سارية، حين ناداه على بعد آلاف الأميال «يا سارية.. الجبل.. الجبل»، فسمعه سارية، ونجا من الكمين، وانتصر.. هذا التخاطر عملية من عمليات الروح..

وهذه كلها عمليات باهرة معجزة، يقف الانسان حائرا أمامها مبهوتا من العجب والاعجاب. ولكنها مع ذلك عمليات جانبية محدودة. انما الوظيفة الكبرى للروح.. هي الاتصال بالله. نعم.. الروح وسيلتنا للاتصال بالله، وهي تهتدي الى الله — خالقها — بفطرتها التي خلقها الله، انها من روح الله التي أودعها قبضة الطين.

«**فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين**»(٢) ومن ثم فهي بذاتها تهتدي الى خالقها، وتتصل به على طريقتها.

«**واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم.. ألست بربكم قالوا: بلى شهدنا**»(٣) تهتدي الى خالقها كما يهتدى كل شيء الى خالقه بفطرته، ودون كد ولا تعب.

«**ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى**»(٤)

لأن الله كرم هذا المخلوق البشري: «**ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا**»(٥) ومن آيات هذا التكريم الالهي، أن جعل للانسان فؤادا واعيا..

«**وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة**»(٦) فجعل عملية الهدى.. عملية واعية، يشترك فيها مع الروح.. الفؤاد البصير، فتفترق بذلك عن الطاعة التي يمارسها الجماد والنبات والحيوان. ومع كل ذلك.. فالانسان يضل.. يضل حين تنحرف فطرته، ويصيبها المرض، يضل فلا يهتدي الى الله، ولا يصل بروحه اليه..

على أنه حتى حين يضل، وحين تتغبش روحه فلا تستطيع أن تشف، حتى حين يغشيها ركام الشهوات، فيحجب عنها النور، حينئذ تظل بقية من الفطرة — برغم ضلالها — تتجه الى خالقها، كما تتجه العين الكليلة الى الضوء — لا تراه كله، ولكنها لا

منهج القرآن في تربية الروح

تعمى عنه..

وهنا تبدأ مهمة العقيدة، لأن مهمتها مساندة الفطرة، وتوجيهها وجهتها، مهمتها أن تساعد الفطرة في الاهتداء الى الله، مهمتها أن تطلق الروح من اسارها لكي ترى الله. من هنا عنى القرآن بتربية الروح وتوجيهها.. انها في نظره مركز الكيان البشري، ونقطة ارتكازه. انها المهيمن الأكبر على حياة الانسان.. انها الموجه الى النور.. يكفي انها وسيلة الانسان للاتصال بالله. لذلك اتخذ القرآن منهجا دقيقا في تربية الروح، وهو أن يعقد صلة دائمة بينها وبين الله، في كل لحظة، وكل عمل، وكل فكرة، وكل شعور.

ان الانسان بطبيعته.. قد تشرق روحه لحظة.. قد تأخذه روعة الصبح الوليد مرة، وهو يتنفس كمن يصحو من سباته، قد تأخذ بلبه الليلة المقمرة، فينتشي بشعرها المهموس، وأطيافها الحالمة، وظلالها المسحورة، قد تأخذه ضخامة الكون وروعته، وانتظام سننه، ودقة نظامه.. وكل ذلك جميل. ولكنها لحظات منقطعة، لا دوام لها ولا استقرار، والقرآن لا يريد ذلك.. لا يريد لهذه الاشراقة الروحية أن ينطفيء، لا يريد أن يغشى صفاءها شيء، أو تحجبها عن انطلاقها في الآفاق.. ومن ثم لا يكتفي بتلك اللحظات الفائقة أن تجيء عرضا ولا تلبث أن تزول.

انما يريد القرآن أن يجعل هذه الاشراقة منهج حياة، يريد أن يذكي الشعلة المقدسة فتظل على الدوام مضيئة، يريد أن تظل القبسة التي يشتمل عليها الانسان من روح الله مشعشعة واصلة لنبعها الأصيل. وحين يصل الانسان الى هذه المرحلة، فهو يحقق هدفه ومبتغاه، ومع كل ذلك.. وكما يقرر القرآن.. فان الله رحيم بعباده، تتجلى رحمته في كل زمان ومكان، أنه لا يريدهم على المستحيل، وهو يعلم أن الطلاقة الدائمة الكاملة بالنسبة للبشر مستحيلة، فقبضة الطين لها ثقلة، ودفعة الشهوة لها قوة، وثقلة المادة لها ضغط.. ومن ثم يقول سبحانه: «**فاتقوا الله ما استطعتم**»(٧).

ان الاسلام دين الفطرة، والقرآن دستوره، لذلك فهو يؤمن بكل ما تحتويه الفطرة من طاقات، ويؤمن أولا بطاقة الروح، وقدرتها الفائقة على التحليق والانطلاق، وهو في واقعيته التي تحسب حساب الضعف الانساني لا يكف أبدا عن المحاولة، ولا يكف عن النفخ الدائم لاذكاء شعلة الروح — لأن هذا هو الطريق للرفعة، والطريق — كما قلنا — هو عقد الصلة بين الانسان والله.. ويستخدم القرآن لذلك وسائل شتى:

◦ فهو من ناحية يثير حساسية القلب بيد الله المبدعة في صفحة الكون، لتحس دائما بوجود الله وقدرته المطلقة التي ليست لها حدود.

◦ ومن ناحية يثير حساسية القلب برقابة الله الدائمة عليه، فهو مع الانسان أينما كان، وهو مطلع على فؤاده، عالم بكل أسراره..

◦ ومن ناحية ثالثة يثير في القلب وجدان التقوى، والخشية الدائمة لله، ومراقبته في كل عمل وكل شعور ومن ناحية أخيرة يبعث فيه الطمأنينة الى الله في السراء والضراء، وتقبل قدره بالتسليم والرضاء. والهدف في النهاية واحد وهو.. وصل الروح بالله..

فالقرآن وهو يربي الروح يعمد الى هذه الوسائل، ويتخذ منها طريقا فيبعث فيها الحياة. ثم ان للقرآن العظيم في هذا الجانب قدرة عجيبة.. ان أسلوبه الساحر، وجوّه المشرق، وروحه الصافية، لتنقل الانسان نقلا.. من الفه وعادته، وتهزه ليستيقظ.. تلمس برفق أعصابه المكشوفة، فتعطيه الشحنة كاملة، ينقلها الى مركز الحس بكامل وقعها وكامل تدفقها.

◦ الانسان يعيش في القرآن، مع الكون في لقاء جميل حبيب، لقاء يلذ النفس، ويمتع الحس، ويطلق الروح نشيطة طليقة.. تسبّح لله.

«**ان في خلق السموات والأرض، واختلاف الليل والنهار، والفلك التي تجرى في البحر بما ينفع الناس، وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها، وبث فيها من كل دابة، وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون**»(٨).

◦ وكما يوجه القرآن الروح الى قدرة الله المبدعة في صفحة الكون، فكذلك يوجهها الى قدرته القاهرة التي تمسك بيدها كل أمر، وتدبر وحدها كل تدبير.

«**بديع السموات والأرض واذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون**»(٩) «**من يهد الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا**»(١٠)

◦ وكما يوجه الروح الى قدرة الله المبدعة.. كذلك يوجهها الى علم الله الشامل، الذي لا يخفى عليه شيء في السموات ولا في الأرض، ولا في داخل النفوس.

«**عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال، سواء منكم من أسر القول ومن جهر به، ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار**»(١١)

«**وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه، وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب ان ذلك على الله يسير**»(١٢). فاذا ما وجه القرآن الروح هذه التوجيهات كلها، وهز قلب الانسان من أعماقه، وجعله ينفعل بها انفعالا حيا متجددا مطردا، لا ينقطع ولا يفتر، فقد انعقدت بين الله وروح الانسان وقلبه صلة لا تنقطع في النهار أو الليل، لا تنقطع في عمل أو شعور أو فكر، لا تنقطع في سر أو جهر، لا تنقطع في خلوة أو صحبة، لا تنقطع ما دامت الحياة..

وهنا تتصل الروح بالله صلات شتى.. تتصل به خشوعا وتقوى، تتصل به حبا وتطلعا، تتصل به اطمئنانا الى قدره، وتسليما بما يرضاه..

فالخشوع والتقوى، والحب والتطلع، والاطمئنان الى قدر الله.. هم ثمرة هذه الجولات الهائلة، التي يجولها القرآن مع الروح.. ومع القلب البشري، في آيات الكون، وآيات النفس.. وقدرة الله القادرة، وقدرته القاهرة، وعلمه الشامل، وملكه العظيم، فما تملك الروح.. وما يملك القلب البشري ازاء ذلك الا أن يخشع ويهتز لعظمة الله، وما تملك الروح، وما يملك القلب الانساني ازاء ذلك الا أن يحس بتقوى الله في أعماقه، فيعبده ويخشاه.

هذا هو منهج القرآن في تربية الروح.. منهج عميق محيط شامل.. لا يدع الانسان يفلت أو ينحرف عن السبيل ☐

المراجع:

١ — سورة الاسراء/٨٥
٢ — سورة الحجر/٢٩
٣ — سورة الأعراف/١٧٢
٤ — سورة طه/٥٠
٥ — سورة الاسراء/٧٠
٦ — سورة السجدة/٩
٧ — سورة التغابن/١٦
٨ — سورة البقرة/١٦٤
٩ — سورة البقرة/١١٧
١٠ — سورة الكهف/١٧
١١ — سورة الرعد/٩
١٢ — سورة فاطر/١١

المعاني ومقتضيات الصناعة الشعرية

بقلم : د. جميل علوش / الأردن

من القضايا المهمة التي تستأثر باهتمام النقاد العرب، والتي تحتل مكانا كبيرا في مصادر النقد الأدبي، قضية اللفظ والمعنى، وهي قضية أصيلة عريقة ما زالت تستأثر باهتمام النقد والنقاد الى أيامنا هذه، ومن المؤكد أنها ستبقى الشغل الشاغل للنقاد وحملة الأقلام الى ما لا نهاية، لأنها ركن أساسي من أركان الصناعة الشعرية، ولأن المعنى واللفظ هما مادة الأدب التي لا يقوم بغيرها أدب ولا تتسق صناعة لفظية.

ونحن لن نلج الى هذه القضية من المداخل التي ولج منها النقاد القدامى فنفضل المعنى على اللفظ أو اللفظ على المعنى أو نبحث في أنواع المعاني ومصادرها، أو نتتبع مواقف النقاد القدامى في هذه المشكلة بدءاً بالجاحظ وانتهاء بابن رشيق أو ضياء الدين بن الأثير. اننا لن نفعل ذلك لسبب بسيط هو أن النقاد لم يبقوا في هذا الموضوع مقالة لقائل ولا ثغرة لمتعقب، فقد استوعبوه من جميع جوانبه وأحاطوا به من جميع زواياه.

ان ما يستأثر باهتمامنا هنا هو الوهم الذي يقع فيه الكثير من النقاد، الا وهو تصورهم أن المعاني لها وجود مستقل عن الألفاظ، وأن الشاعر حينما يقبل على نظم الشعر لا يضع في وكده الا أن يصب شراب معانيه في آنية ألفاظه، وأن تجيء هذه الألفاظ مناسبة لتلك المعاني وكأن الشاعر حينما يقبل على نظم قصيدة، يكون قد جمع في ذاكرته طائفة من المعاني التي تنتظر أن تجد لها أزواجا وأقرانا من الألفاظ. فيكون الشاعر كالمترجم الذي تنحصر مهمته في نقل المعاني من لغة الى لغة.

وكثيرا ما نسمع قليلي التجربة في النقد وصناعة الشعر يتحدثون عن حالات تواجههم تتدفق فيها عليهم المعاني في حين تعسر عليهم الألفاظ وتتأبى العبارات فيرجعون من عمليتهم الفنية الابداعية هذه بخفي حنين.

وثمة من الشعراء المبتدئين من يزعم أن المعاني تتدفق عليه في بدء القصيدة ثم ما تفتأ أن تجمد وتتوقف، الى ما هنالك من التصورات الخاطئة التي لا تثبتها التجربة الصحيحة ولا تؤيدها الممارسة الحقة. فالذي يمارس صناعة الشعر يعلم بحق أن المعاني ليس لها وجود مستقل في النفس أو في الذهن، بل انه من الصعب تصور مثل هذا الوجود بعيدا عن الألفاظ التي لا يمكن أن تتحقق المعاني بدونها. فالشاعر حين يقبل على نظم قصيدة ليس من الضروري أن يكون قد حمل في ذهنه معاني محددة هو

في حاجة ماسة لأن يفصّل لها ما يليق بها من ثياب الألفاظ. فكثيرا ما يقبل الشاعر على النظم وليس في ذهنه معنى محدد. ولكنه بعد التأمل الطويل والتتبع المضني يتوصل الى طائفة من المعاني التي ربما تجيء كما كان يتوقع أو فوق ما كان يتوقع اذا كان ذا خبرة بالصياغة الشعرية بصيرا باسرارها وخفاياها عارفا بمداخلها ومخارجها.

فالذي يكون في ذهن الشاعر حين يقبل على العملية الابداعية ليس طائفة من المعاني بل أشتات من العواطف المتلاطمة المتضاربة والتي يكون كل همه أن يعبر عنها فيحولها الى أجسام ملموسة بعد أن كانت أرواحا شاردة لا تكاد يقع عليها الحس.

فموضع الخطأ اذن في الحديث عن المعاني هو توهم الكثيرين أن الغاية الرئيسية والأساسية من العملية الابداعية هي نقل المعاني من الرأس الى الطرس، وتمكين القاريء من فهمها والاطلاع عليها. في حين أن الغاية الأساسية من ذلك هي التعبير عن عواطف معينة تضطرب في نفس الشاعر فيجد في التعبير عنها تنفيسا عن غمة يعانيها أو ألم يقاسيه أو فرح يهيمن على جوانب نفسه. وليس من شرط هذه العواطف التي تساور النفس أن يعبر عنها صاحبها بمعان محددة. فالمعاني رموز وربما استطاع الانسان أن يعبر عن عواطفه برموز مختلفة فمن حقه أن يختار النمط الذي يتيسر له منها، أو ما يحس أنه يستطيع أن يعبر عن عواطفه بصورة أكثر دقة وتحديدا.

ولا غرو اذن أن نرى الشعراء يعزفون عن التمسك في عملية نظم الشعر بمعان محددة فهم يبيحون لأنفسهم تغيير المعنى الواحد والانتقال من النقيض الى النقيض الى غير ذلك مما عثر عليه العقاد في بعض المسودات الباقية من قصائد أحمد شوقي. بل ربما حصل أن عثر الشاعر على معنى لم يفكر فيه ولم يخطر في باله. فكل ما يشترطه الشاعر في هذه العملية أن يجيء المعنى موافقا لآرائه غير مختلف مع عواطفه ولا مناقض لمواقفه. وما عدا ذلك فهو مباح غير محظور على خلاف ما زعمه العقاد من أن هذا التغير والانتقال بين المعاني المتناقضة هو من الشواهد القاطعة على عدم صدق الشاعر.

والذي يمارس الصناعة الشعرية يعلم كم يجد الشاعر من العنت أحيانا في العثور على كلمة محددة قد يكون بحاجة اليها لاستكمال مقتضيات تلك الصناعة في البيت من لفظ ومعنى ونغم وما يستتبعها من لمسات فنية. وربما اكتشف أنه بالعثور على تلك اللفظة الشاردة التي كان يبحث عنها وقد وقع على معنى لم يكن قد خطر في باله كما ذكرنا آنفا.

فمن المستحيل اذن الحديث عن معان محددة يكون هدف الشاعر في العملية الابداعية نقلها الى الآخرين. لأن عمل الشاعر لا يعدو في هذه الحالة، عمل المترجم الذي ليس له من فضل الا العثور على ألفاظ مناسبة لمعان معروفة محددة. ولكن عمل الشاعر أرقى وأرفع من حيث أنه يقوم بعملية فنية جمالية يعبر فيها عما يشاء من معان من خلال مجموعة من الشروط والقواعد التي يستطيع من خلالها تحقيق مستوى فني جيد في الصناعة الشعرية.

ومن هنا نعلم أن نقل المعاني ليس سهلا وأن التعبير عنها ليس ميسورا، اذ أن ذلك كله لا بد أن يمر في قنوات محددة هي مجموعة من الأصول والقواعد التي على الشاعر أن يحققها في شعره من لغة ونحو وعروض وما يصاحب ذلك من لمسات فنية ولمحات جمالية، ولا سيما ما كان منها يتعلق بحسن الايقاع الناجم عن توازن الألفاظ وتعادل العبارات واتساق البناء الخ.

فلو كانت غاية الشاعر هي نقل المعاني الجامدة كما هي ودون تصرف لما أمكنه تحقيق ذلك، لضيق القنوات التي ينبغي أن تمر بها من خلال تلك العملية. ولكن الشاعر يصنع معانيه بل يخلقها من خلال البحث عن اللفظ الجميل والنغم الرقراق والقافية المناسبة. ومن هذا نفهم أن المعاني ليس لها وجود مستقل كما أسلفنا بل هي تتكون وتتشكل من خلال العملية الفنية المعقدة، لا قبل اللفظ ولا بعده، بل هي تلد معه في لحظة واحدة وليس بوسعها أن تنفصل عنه كما أنه ليس في وسع الروح أن تنفصل عن الجسد في هذه الحياة الدنيا الا والجسد عفن والروح خيال غير منظور.

فكل ما يملكه الشاعر في حضرة الشعر اذن أفكار عامة يزيدها الانغماس في العملية الابداعية توضيحا وتفصيلا. فهي ما تزال تنمو وتتكاثر حتى تصبح قطوفا وعناقيد لم يقصد اليها الشاعر ولم يضعها في تقديره واعتباره ولكنه يفرح بها حينما يقرأها أو حينما يقع عليها بصره فرح الزارع بالثمرة التي تطلعها شجرة رعاها بجهده وعرقه وبخاصة اذا كانت هذه الثمرة مونعة ناضرة.

ومن الدلائل على أن المعاني لا تقصد لذاتها أنها تأتي محض مصادفة. وقد يستغرب بعضهم قولنا هذا. ولكن هذا هو الحق. فمن المعروف أن الشاعر لأمر ما وفي لحظة معينة يختار وزنا وقافية محددين ولا أحد يعرف حتى الآن الأسباب التي تحمله على هذا الاختيار. ومن خلال هذا الوزن والقافية يستحدث معاني معينة. ولو حصل أن اختار وزنا وقافية آخرين لكان عليه أن يستحدث معاني أخرى تناسب هذا الوزن والقافية. وهذا يعني أن الشاعر ليس ملزما بمعان محددة، وأنه يختار منها ما يناسب مقتضيات الصناعة الشعرية من وزن وقافية ولفظ ونغم الخ... فالبحر الكامل غير البحر البسيط غير البحر الوافر. والبحر التام غير المجزوء غير المشطور، والقافية المرفوعة غير المنصوبة غير المجرورة. ولكل من هذه العناصر أجواء تلائمها وعواطف تناسبها ومعان تتسق معها. والشاعر ليس مكلفا نقل معان محددة، والشاهد على ذلك أنه يجد نظم الشعر أسهل من ترجمته. فلو كانت الصناعة الشعرية نقل معان محددة لكانت أشبه بالترجمة والترجمة كما نعلم صعبة بل هي شبه مستحيلة. ونحن نعني بالترجمة ترجمة الشعر شعرا، أما ترجمة النثر فسهولتها وصعوبتها يتوقفان على مقدرة المترجم. ومتى توفرت في المترجم القدرة والكفاية كانت الترجمة سهلة.

أما ترجمة الشعر فهي شبه مستحيلة لصعوبة ادخال المعاني المنقولة في قنوات الصناعة الشعرية. ولقد ترجم رباعيات الخيام شعرا عدد من الأدباء العرب مثل وديع البستاني واحمد رامي واحمد الصافي النجفي فكانت كل ترجمة تختلف عن سواها من حيث الدقة والأمانة والاتقان. ولا شك أن قارىء هذه الترجمات سيجد كلاما متشابها الى حد ما ولكنه مختلف الى حد بعيد لأن كل ترجمة تحمل شيئا من سمات صاحبها ومميزاته وخصائص أسلوبه. ولو كان يقصد من الشعر دقة معانيه لما كان ثمة سبيل الى مثل هذا الاختلاف في الترجمة الذي هو في الأساس اختلاف في الفهم والتصور الى جانب أنه اختلاف في القدرة على النقل والتعبير.

وربما كانت مطالبة المحدثين بالتخلص من الوزن والقافية والصياغة الكلاسيكية في أساسها منبثقة عن التصور الخاطىء بأن القصد من عملية النظم هو نقل المعاني والأفكار. ولذلك رأى هؤلاء أن السبيل الأمثل للتمكن من سهولة التعبير عن المعاني هو تجاوز الوزن والقافية وكل مقتضيات الصناعة الشعرية، والاستعاضة عن كل ذلك بما يسمى بقصيدة النثر، لأنها لا تقف على حد زعمهم عائقا في سبيل المعنى.

أما أصحاب المذهب الكلاسيكي فيخالفون هؤلاء في هذا الفهم القاصر لوظيفة الشعر اذ أن الكلاسيكيين يرون أن الغاية من الشعر هي الامتاع والتأثير وأن ممارسة العملية الابداعية من شأنها أن تفجر ينابيع من المعاني لا يمكن أن تفجرها الأساليب النثرية التي ينادي بها دعاة قصيدة النثر. فلا شك أن مقتضيات الصناعة الشعرية المعقدة تؤدي بالشاعر الى مسالك جديدة فيها من جدة المعاني وطرافة الصور ما يعجز عنه الوصف. وتقف شاهدا على ذلك قصائد الفحول من شعراء العربية القدامى والمحدثين كابن الرومي وابي تمام والمتنبي. فقد كان كل من هؤلاء غوّاصا على المعاني بطريقته الخاصة. ولكن من يستطيع أن يزعم أن كلا من هؤلاء كان يعلم على وجه التحديد بما كان سيستحدث من معان قبل البدء بنظم القصيدة، ألا نستطيع أن نقول أن كثيرا من تلك المعاني كان الشاعر يعثر عليه عن طريق المصادفة ومن خلال الجري مع النغم الرائق والصياغة الرائعة. فالشعر عملية غناء والشاعر عند نظمه يغني ولذلك قال الشاعر القديم:

تغنَّ بالشعر اما كنت قائله
ان الغناء لهذا الشعر مضمار

وقيل ان المتنبي كان يأخذ بهذا المبدأ فكان يغني عند النظم على الطريقة البدوية فكلما نظم مجموعة من الأبيات توقف عندها قليلا ليغنيها ثم يستأنف نظمه وهكذا. وكذلك كان حافظ يصنع وغيرهما من الشعراء. وهي طريقة مميزة في نظم الشعر تساعد على الاندفاع والتدفق.

ولعلنا نستطيع بهذا أن نفهم قصور العقاد عن اللحاق بالشعراء الكبار من جهابذة الصناعة الشعرية مثل البحتري وشوقي وحافظ والجواهري وغيرهم لأن العقاد فهم الشعر على أنه فكر وفلسفة وحدود وقيود فكبا وتعثر. وكذلك صنع مطران في كثير من قصائده فشدد على دقة المعنى ووضوح الفكرة والتزام المنطق فكان كأنه خطيب لا شاعر. وكان هذا سببا من أسباب قصوره في كثير من شعره لأن الشعر غناء وطرب لا فكر ونصب.

وبناء على ما سبق يتبين لنا خطأ القول بأن المعاني هي الأساس في العمل الشعري وأن العمل الشعري هو مجرد تعامل بالمعاني وأن مهمة الشاعر محصورة في المعاني مقصورة عليها. وأسمع بعضهم يتحدثون في هذا الموضوع فكأني بهم يحسبون الشاعر يملك من مخازن المعاني ما كان يملك قارون من مخازن المال، وما عليه حين يريد النظم الا أن يدير يده الى تلك المخازن فتخرج محملة بكل جديد طريف منها دون أي اعتبار لما يعانيه في البحث عن تلك المعاني من تأمل وسهر ورشح جبين، ودون الالتفات الى ما يمتلكه من القدرة الفنية العجيبة الكفيلة باستخراج تلك المعاني.

ولا أريد أن أتابع بعض القدامى فأخالف هؤلاء وأقول: ان الألفاظ هي الأساس. ذلك أن هذا الجدل لا فائدة منه. فلا المعاني ولا الألفاظ هي الأساس في العمل الشعري، ذلك أن العملية الفنية بمجملها كل لا يقبل التجزئة وهي غاية في ذاتها، ومن المؤكد أن كل جزء منها ليس له قيمة في ذاته. فلو كانت المعاني هي الأساس لكان الفيلسوف خيرا من الشاعر لأنه أقدر منه على تشقيق المعاني وتفريعها. ولو كانت الألفاظ هي الأساس لكان اللغوي خيرا من الشاعر لأنه أقدر على التصرف فيها. ولكن لا الفيلسوف ولا اللغوي أدرى بخفايا العملية الفنية من الشاعر، لأن معرفة الشاعر بهذه العملية معرفة تقوم على الموهبة الأصيلة والملكة الراسخة. أما معرفة العالم فتقوم على المعرفة العقلية الصناعية البعيدة عن كل طبع وملكة. ولذلك نجده على الرغم من كل ما يتسلح به من علوم عاجزا عن صوغ قصيدة جيدة. ومما يؤكد ذلك، اللذة والامتاع اللذان يحس بهما الشاعر أثناء عملية الابداع والناجمان عن عثورة على كل طريف من المعاني ومبتكر. فلو كان الشاعر يعرف هذه المعاني معرفة سابقة لما كان تيسر له أن يحس بمثل هذه اللذة والامتاع، لأن سرهما كامن في اكتشاف المعاني الجديدة وتتبعها لا في نقلها والتعبير عنها. والفارق كبير بينهما اذ ان المترجم لا يجد لذة في ترجمته بل يجد نصبا وعنتا.

ونستخلص من كل ما سبق ان المعاني ليس لها وجود مستقل، وأن وجودها لا يتقدم على العمل الفني، وأن العمل الفني تعبير عن عواطف لا أفكار، وأن الشعر غناء وطرب لا فكر ونصب، وأن المعاني ليست العنصر الأكثر أهمية في العملية الابداعية. وقد لمس «أدونيس» الحقيقة هذه، فقال: «ليس هناك اذن معنى مسبّق، (النقد العربي السائد يؤكد على المعنى المسبّق)، المعنى يتكون، ينشأ في الكلام في ممارسة الكتابة، في صنع هذه الكتابة، في حضورها الشكلي على الورق، فالمعنى لاحق لا سابق، انه يبدأ مع النص وبه وفيه»□

المركز الوطني السعودي للعلوم

قاعدة صلبة للمسيرة التنموية في المملكة

منذ إنشاء المركز الوطني السعودي للعلوم والتكنولوجيا عام ١٣٩٧هـ، راح يلعب دوراً حيوياً في دفع عجلة التنمية في المملكة، عبر أهدافه الرامية إلى تنسيق البرامج العلمية والتكنولوجية في الجامعات والوزارات والمؤسسات الحكومية، وتشجيع مشاريع الأبحاث التطبيقية، وتنشيط أعمال مراكز البحوث بما يتناسب مع متطلبات التنمية في المملكة. ويتولى المركز دعم الباحثين وتيسير سبل البحث لهم، وتمويل البحوث، وتنفيذ برامج علمية تطبيقية تقع في صميم خطط التنمية التي تنتهجها الدولة.

وأنت تدلف الى ردهة الاستقبال في المركز تجد وقد انتشرت في جنباتها مجسمات مختلفة تمثل بعض المشاريع التي يضطلع بها المركز، ومنها مشروع القرية الشمسية، ومشروع تربية الأسماك في المياه العذبة، ومشروع المرصد الفلكي. وفي الدور الرابع من المركز يوجد مكتب معالي الدكتور رضا محمد سعيد عبيد، رئيس المركز ورئيس مجلس الادارة. وبعد أن رحب بالقافلة راح الدكتور عبيد يحدثنا عن المركز وقصة تأسيسه وأهدافه وانجازاته.

العلوم والتكنولوجيا في خدمة التنمية

ان الموقف العام للمملكة العربية السعودية من العلم والتكنولوجيا ينبثق من الاحترام الكامل للمعرفة، والتقدير للجهد البشري المبذول في جمعها وتطويرها. فالمملكة تقدر دائما ما يمكن أن يسهم به العلم والتكنولوجيا في سبيل تحقيق أهداف التنمية الوطنية في المجالين الاجتماعي والاقتصادي. وتنقسم أهداف السياسة المتبعة في مجال العلوم والتكنولوجيا الى قسمين: يختص الأول منهما بتغيير الظروف المادية للمجتمع عن طريق اختيار التكنولوجيا المتقدمة، ونقلها، وادارتها، مع المحافظة على القيم الحضارية للبلاد وتقاليدها وعاداتها. ويختص الثاني بتنمية الموارد الطبيعية والبشرية لتقليل اعتماد الاقتصاد الوطني على الأيدي العاملة الأجنبية والموارد الهيدروكربونية القابلة للنضوب. ولهذا انتهجت الدولة سياسة تم بموجبها تحديد الأهداف العلمية والتكنولوجية التي تتمشى مع الخطة العامة للتنمية، وتنظيم المعدات والتجهيزات الأساسية وتوزيعها، وتحديد وتقديم التكنولوجيا المناسبة لمواجهة متطلبات الاقتصاد، ومتابعة برامج الأبحاث وتقييمها، ومتابعة تطور العلوم والتكنولوجيا ونقلها وتطبيقها. ومن هذا المنطلق تم تأسيس المركز الوطني السعودي للعلوم والتكنولوجيا بموجب المرسوم الملكي رقم م/٦٠ في شهر ذي الحجة عام ١٣٩٧هـ الموافق شهر نوفمبر عام ١٩٧٧م، بهدف دعم وتشجيع البحث العلمي للأغراض التطبيقية، وتنسيق أوجه نشاطات مؤسسات ومراكز البحوث فيما يتناسب مع متطلبات التنمية في المملكة. فالمركز من هذه الناحية يقدم كل عون للعلماء والخبراء لاجراء البحوث، للاستفادة من خبراتهم وكفاءاتهم في تحقيق أهداف التنمية الاجتماعية والاقتصادية في المملكة. وترتبط أنشطة المركز بالمجتمع سواء بصورة مباشرة أو غير مباشرة. ويهدف المركز من خلال أنشطته الى نشر الوعي العلمي والتكنولوجيا في المملكة، ولهذا فانه يتولى مهمة التنسيق والتعاون مع كل الجهات المعنية بهذا الأمر. والمركز في هذا الصدد يقدم منحا للبحوث التطبيقية ومنحا دراسية للطلاب السعوديين. ويبلغ عدد أفراد الهيئة العاملة فيه نحو ١٧٥ عضوا، يتمتع المعنيون منهم ببرامج وانشطة المركز المتنوعة بكفاءات علمية عالية وخبرات واسعة.

فكرة تأسيس المركز

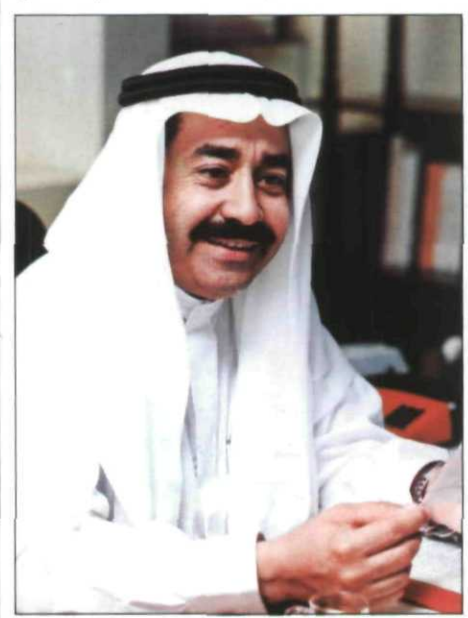
تعود فكرة تأسيس المركز، كما يقول الدكتور عبيد الى عام ١٣٩٠هـ (١٩٧٠م) عندما وضعت الدولة خطة التنمية الأولى للمملكة (١٣٩٠ — ١٣٩٥). فوزارة التخطيط عندما تنظر الآن الى الخطة الأولى، فانها تعتبرها خطة تاريخية، لأنها كانت التجربة الأولى في مجال التخطيط على نطاق المملكة. لقد خرجنا من هذه الخطة بعدة نتائج منها: أن تنفيذ الخطة تنفيذا كاملا يتطلب وجود هيئة تهتم بموضوع نقل وتطويع التكنولوجيا لخدمة أغراض التنمية في المملكة. ولذلك عندما صدرت خطة التنمية الثانية (١٣٩٥ — ١٤٠٠هـ) تضمنت فصلا خاصا عن العلوم والتكنولوجيا، واعتماد تشكيل هيئة تهتم بموضوع نقل واستيعاب وتطويع التكنولوجيا لخدمة أغراض التنمية في المملكة. وفي عام ١٣٩٦هـ شكلت لجنة من بعض أساتذة الجامعات السعودية والمختصين في

والتكنولوجيا

بقلم: سليمان نصرالله / هيئة التحرير

منظر خارجي جانبي لمبنى المركز الوطني للعلوم والتكنولوجيا.

المؤسسات والوزارات الحكومية، لمتابعة هذا الموضوع، وكان لي شرف رئاسة هذه اللجنة. وقامت هذه اللجنة بدراسة موضوع العلوم والتكنولوجيا ودورها في خطة التنمية. وجاءت توصياتها مؤكدة لما جاء في خطة التنمية، من حيث ضرورة تكوين هيئة تعنى بنقل واستيعاب وتطويع التكنولوجيا لخدمة أهداف التنمية في المملكة. ورفعت توصيات اللجنة بطبيعة الحال الى المقام السامي. وفي نهاية عام ١٣٩٧هـ (١٩٧٧م) صدر المرسوم الملكي



معالي الدكتور رضا محمد سعيد عبيد، الرئيس التنفيذي للمركز الوطني للعلوم والتكنولوجيا ورئيس مجلس الادارة.

الكريم بانشاء هذا المركز وهو مرتبط اداريا برئيس مجلس الوزراء. والمقر الرئيسي للمركز مدينة الرياض، ويجوز انشاء فروع له في المدن الأخرى بالمملكة. وقد حدد نظام المركز أغراضه واختصاصاته كما يلي:

* القيام ببرامج البحوث العلمية ذات الأغراض التطبيقية في المجالات الضرورية لخدمة أغراض التنمية الاقتصادية والاجتماعية بالمملكة.

* انشاء وادارة مركز معلومات عن القوى العاملة في حقول العلوم والتكنولوجيا للاستفادة من هذه القوى في تنفيذ خطط التطوير العلمي والتكنولوجي.

* انشاء وادارة مختبرات للبحوث العلمية ذات الأغراض التطبيقية في المجالات ذات الأهمية الخاصة بالمملكة.

* مساعدة القطاع الخاص في تطوير أبحاث المنتجات التي تتم عن طريقه فيما يتعلق بالمنتجات الصناعية والزراعية ذات الارتباط بزيادة الناتج القومي.

* دعم برامج البحوث المشتركة بين المملكة والمؤسسات العلمية الدولية لمواكبة التطور العلمي العالمي سواء عن طريق المنح أو القيام ببحوث مشتركة.

* تنظيم وادارة مركز معلومات عن المؤسسات العلمية ونشاطاتها في الداخل والخارج كالمؤتمرات العلمية والبحوث المنشورة



على مدخل مقر المركز الوطني للعلوم والتكنولوجيا بالرياض يتجاذب هؤلاء الشباب أطراف الحديث تحدوهم آمال كبيرة.



يتمتع العاملون في المرصد الوطني بخبرة واسعة في مجال العلوم الفلكية والرياضية.

للاستفادة منها في تحقيق أهداف المركز.

* اقتراح خطة البحث العلمي لتحقيق أهداف الدولة في تحقيق التقدم العلمي على أن تقر هذه الخطة من قبل مجلس الوزراء.

* تقديم منح دراسية بهدف تنمية المهارات الضرورية للقيام بالبحوث العلمية.

* تقديم منح للأفراد والمؤسسات العلمية للقيام باجراء بحوث علمية تطبيقية.

* التنسيق مع الأجهزة الحكومية والمؤسسات العلمية ومراكز البحوث في المملكة في مجال الأبحاث وتبادل المعلومات والخبرات ومنع الازدواج في مجهوداتها. ولتحقيق ذلك تنشأ لجنة اتصال تتكون من خبراء في الأجهزة والمؤسسات الحكومية ذات الصلة بأعمال المركز تختص بابداء النصح للمركز في وضع خطة البحث العلمي.

ولتحقيق تلك الأهداف، قال الدكتور رضا عبيد: قمنا أولا بعملية مسح شامل للقدرات والامكانات المتوفرة في المملكة فيما يتعلق بعدد الموجودين في المملكة من حملة شهادة الدكتوراه والماجستير، وتخصصاتهم، وأماكن تواجدهم، كما شمل المسح المختبرات العلمية والمعدات والأجهزة الموجودة فيها. وكانت نتائج هذا المسح مهمة جدا، اذ اتضح لنا منها أن القدرات والامكانات اللازمة للأبحاث العلمية لا تتوفر الا في الجامعات. ولذلك كان التركيز على الجامعات بالدرجة الأولى، وعليه رحنا ندرس أوضاع البحث العلمي في الجامعات السعودية. ومن هذه الدراسة وجدنا أن معوقات البحث العلمي في الجامعات السعودية تنحصر في أمرين: أولها

البعد عن مصادر المعرفة والمعلومات، فغالبا ما تصل المجلات والنشرات العلمية متأخرة وقد يفقد بعضها، فتجد الباحث ليس على صلة وثيقة بمصادر المعلومات، كما هي الحال بالنسبة لزميله الباحث الموجود في أوروبا أو أمريكا. وثانيهما النظام البيروقراطي أو قل الروتين المالي الذي يستغرق وقتا طويلا واجراءات عديدة، مما قد يفقد الباحث حماسه. لذلك أعطى المركز



المختبر التابع لخطة مشروع تربية الأسماك يضم أجهزة متقدمة لفحص كل ما يتعلق بتربية الأسماك.

الأولوية الأولى لانشاء ادارة للمعلومات والخدمات الفنية تستخدم التقنية الحديثة في الاتصال ببنوك المعلومات في أوروبا وأمريكا. كما اشترك المركز في هذه البنوك لتسهيل عملية الحصول على أية معلومات يحتاج اليها الباحث. وبذلك يستطيع الباحث الآن الحصول على أية معلومات ينشدها في أقصر وقت ممكن، فضلا عن أنه يتمكن من الحصول عبر المركز على نصوص كاملة تتعلق بالبحث الذي يقوم به. وهكذا ربطنا الباحث بمصادر المعلومات، بشكل يتيح له الحصول على المعلومات بطريقة أسرع من زميله الباحث الموجود في أي بلد في أوروبا وأمريكا، لأننا متفرغون لهذا العمل. كذلك قام المركز بانشاء ادارة للبحث العلمي تتولى دعم الباحث حاليا بموجب برنامج المنح للأبحاث التطبيقية للتغلب على عقبة الروتين، ولدفع عجلة البحث العلمي في الجامعات قدما، وتوجيهه لخدمة خطط التنمية في المملكة، وتطوير الكفاءات الوطنية والامكانات العلمية في المملكة، والاسهام في ايجاد الحلول المناسبة للمشكلات التي تجابه القائمين على تنفيذ خطة التنمية الوطنية.

ادارة البحث العلمي

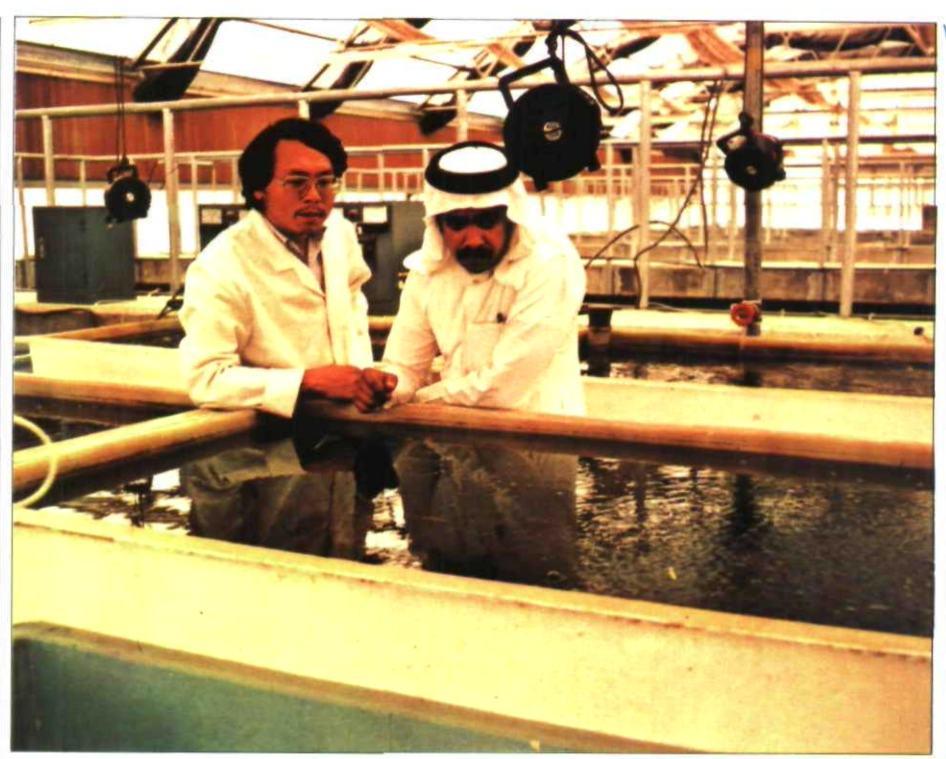
تضطلع هذه الادارة بدور حيوي فيما يختص بمهام المركز، فهي بمثابة همزة الوصل بين المركز والجامعات ومؤسسات ومراكز البحوث. وكجزء من هذه المهام، عمد المركز من خلال ادارة البحث العلمي الى انشاء سلسلة من برامج المنح، مخصصة لمشاريع الأبحاث التطبيقية والتطوير التكنولوجي. وتهدف هذه البرامج في جملتها الى حفز وتنمية وتطوير الامكانات العلمية والتكنولوجية الوطنية. ويحق تقديم مشروعات البحوث الى المركز الوطني للعلوم والتكنولوجيا لكل من المؤسسات الحكومية كالجامعات ومعاهد البحوث، والمختبرات، والوزارات، كما يمكن تقديمها من قبل المؤسسات الصناعية الوطنية. ويتولى المختصون في هذه الادارة دراسة المشروع من جميع جوانبه ثم تقييمه. وقد أربى عدد مشروعات البحوث المقدمة خلال العام المنصرم على مائة مشروع في مجالات عديدة كالطب، والزراعة، والمياه، والطاقة، والمواصلات، والاسكان، والبترول، والبتروكيماويات، والطرق، والثروة الحيوانية، والثروات المعدنية. وقد اختير منها ١٩ مشروعا للتنفيذ. ومن بين هذه الأبحاث استخدام المياه شديدة الملوحة في الزراعة، واستخلاص البروتين وحيد الخلية من البترول واستعماله كعلف للحيوانات، والأنيميا المنجلية وعلاجها في المنطقة الشرقية من المملكة، بالاضافة الى مشروع أبحاث مرض اللشمانيا من حيث طبيعته ومدى انتشاره في المملكة وذلك بالتعاون مع وزارة الصحة وكليات الطب في جامعات المملكة.

ادارة أنظمة المعلومات والخدمات الفنية

تعنى هذه الادارة بالدرجة الأولى بتأسيس قاعدة لتبادل المعلومات العلمية والفنية على أوسع نطاق، بين العلماء والباحثين في داخل المملكة وفي شتى أنحاء العالم. ولضمان



المهندس أسامة عبد العزيز أركوبي منهمك في المجسمات والمخططات الخاصة بالمنشآت الجديدة للمركز المزمع بناؤها على طريق الدرعية بجوار جامعة الملك سعود بالرياض.



تقديم خدماتها بصورة مثلى، فقد تم اعادة تنظيم هذه الادارة وتقسيمها الى أقسام نوعية، يتولى كل منها مهام متخصصة وهذه الأقسام هي: قسم قواعد المعلومات الوطنية، وقسم الحاسب الآلي، وقسم الوسائل السمعية والبصرية، وقسم خدمات المعلومات، وقسم المكتبة الوطنية للعلوم والتكنولوجيا، وقسم الترجمة العلمية. وعليه فقد تم انشاء ثماني قواعد للمعلومات لأنشطة البحث العلمي في المملكة، وجرى تحديث نظام الحاسب الآلي سواء من ناحية الأجهزة والمعدات أو من ناحية البرامج الجاهزة. وتختص كل قاعدة بناحية معينة، فمنها ما هو معني بمتابعة الأبحاث الجارية والاحتفاظ بمعلومات عنها لتلافي الازدواجية، وتزويد الباحث بكل جديد قد يكون له علاقة ببحثه. ومنها ما هو خاص بالأبحاث التي يمولها المركز، والقوى البشرية في المملكة العاملة في مجال العلوم والتكنولوجيا، والمعلومات الببليوغرافية عن العلوم والتكنولوجيا. كما تم تحديد طرق الحصول على الوثائق والمعلومات اللازمة لقواعد المعلومات. ويحتفظ المركز بسجلات لجميع الأبحاث التي تم اجراؤها، والتي يمكن التعرف اليها بالاتصال المباشر بالحاسب الآلي عن طريق مركز المعلومات. والملاحظ أن الطلب يزداد على خدمات قسم أنظمة المعلومات بالنسبة للبحوث التي تجرى عبر الاتصال المباشر بالحاسب الآلي، وكذلك بالنسبة لطلبات العلماء والباحثين في الجامعات والهيئات العلمية والمؤسسات الحكومية وغيرها في شتى انحاء المملكة. وقد بلغ عدد البحوث التي أجريت عبر الاتصال المباشر ٦٤٤ بحثا في العام المنصرم، تم تأمينها من قواعد المعلومات التي تديرها مؤسستا «ديالوج — Dialog» و«أوربت — Orbit». وقد اتخذ المركز مؤخرا اجراءات لتأمين خدمات الاتصال المباشر بشبكة مكتبة بليز البريطانية، مما سيؤدي الى توسعة مجال الحصول على نسخ مصورة من المواد التي تنشرها الدوريات. وقد اشتملت البحوث التي أجريت بالاتصال المباشر بالحاسب الآلي على علوم الأحياء، والكيمياء، والفيزياء، والجيولوجيا، والرياضيات، وعلم الكمبيوتر، والعلوم الطبية، والهندسية، والعلوم الطبيعية، والعلوم الاجتماعية والتربية، واللغة الانجليزية وغيرها.

أما قسم الوسائل السمعية والبصرية فيقوم بمهام متنوعة، منها اختبار وتأمين وصيانة الأجهزة التي تطلبها الادارات المختلفة في المركز، فأجهزة معالجة الكلمات Word Processors وأجهزة تصوير المستندات، والأجهزة السمعية والبصرية، وأجهزة الطباعة، والمصغرات الفلمية. هذا فضلا عن تقديم الخدمات التي تساعد على رفع كفاءة العمليات الادارية، كتدريب الكفاءات الوطنية على استخدام الأجهزة الآنفة الذكر. أما قسم المكتبة ومركز المعلومات فيتولى توفير المعلومات التي تحتاج اليها ادارة المركز وموظفو البرامج على وجه السرعة وبكفاءة عالية، لذا تم استعمال نظام الميكروفيلم لتأمين مجموعة أساسية من مواد المكتبات والاعلام والحاسب الآلي، كما تم الاشتراك في ١٤٤ دورية، مع التركيز على مصادر المعلومات الحديثة. كما يقوم هذا القسم بتزويد الباحثين بالمطبوعات المطلوبة. أما قسم الترجمة العلمية فيتولى تصميم وتنفيذ برامج لاستخدام الحاسب الآلي في الترجمة من اللغات المختلفة الى اللغة العربية والعكس، وكذلك تصميم القواميس العلمية المتخصصة، والتي سيتم خزنها في الحاسب الآلي، لكي يقوم بدور الترجمة الآلية وهناك الآن دراسات



١ — الأستاذ حمد محمد الحنطي، مدير مشروع تربية الأسماك يتحدث مع أحد الخبراء من جمهورية الصين الوطنية.

٢ — عيون المرصد متجهة نحو السماء لرصد بعض النجوم.

٣ — الأستاذ عبد العزيز سلطان الشمري يتحدث الى محرر القافلة الأستاذ سليمان نصرالله عن المرصد القائم في منطقة الحريق.

جارية حول تصميم جهاز حاسب آلي يستخدم اللغة العربية في البرامج.

إدارة التوعية العلمية ونقل التكنولوجيا

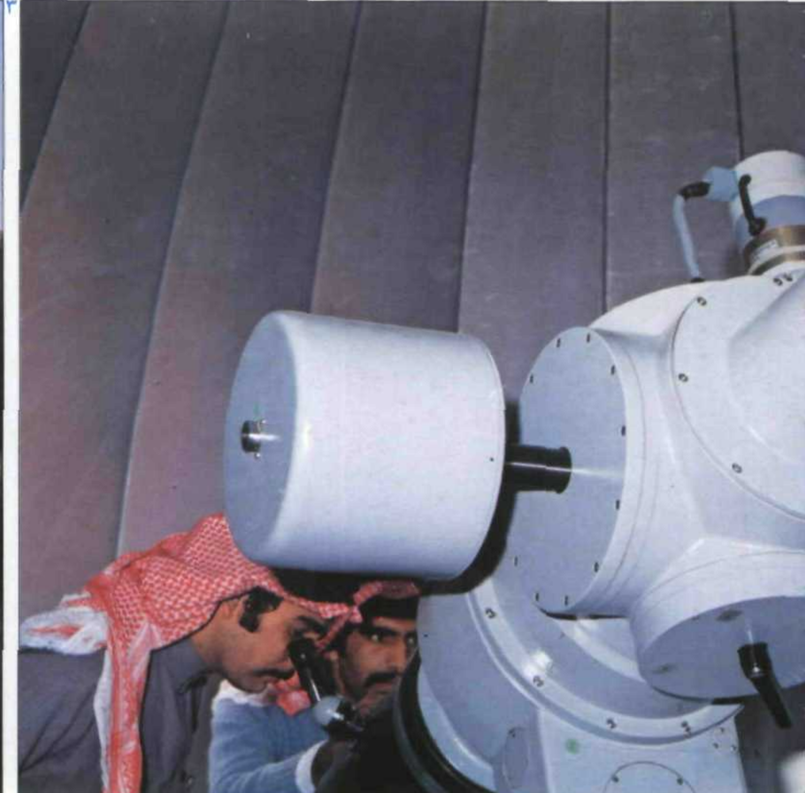
أدى تزايد اعداد برامج التنمية في المملكة، وتعاظم حجمها، وارتفاع معدلها، الى اقتناع المركز بضرورة نشر الوعي بين المواطنين لتفهم العلوم والتكنولوجيا، عن طريق ايجاد بيئة تساعد على اثارة اهتمام الجماهير بالعلوم والتكنولوجيا. وقد أنيطت هذه المهمة بادارة التوعية العلمية ونقل التكنولوجيا. ولتحقيق هذه الأهداف تتولى الادارة اصدار رسالة اخبارية تركز على الأنباء السعودية، والتقاليد العلمية العربية، وأخبار العلوم الأجنبية، ونشاط الشباب في مجال العلوم. وفي الوقت ذاته تضطلع هذه الادارة باقامة مراكز علمية للشباب، ومعارض للعلوم في المتاحف والمؤسسات التعليمية، لتثقيف الجمهور واطلاعه على أحدث ما توصل اليه العلم والتكنولوجيا، وتنظيم حملات عن طريق وسائل الاعلام، وتطوير وصيانة الامكانات التكنولوجية، وتوفير الدعم لتطوير مكتبات العلوم، وتشجيع ترجمة المؤلفات العلمية والتكنولوجية، واحداث أنظمة للترجمة بالاستعانة بالكمبيوتر. ورغبة من المركز في تشجيع الطلاب والمهندسين في المملكة على فهم واستيعاب العلوم والتكنولوجيا، تجرى دراسة امكانية عقد سلسلة من المحاضرات في المملكة من قبل العلماء السعوديين والعالميين.

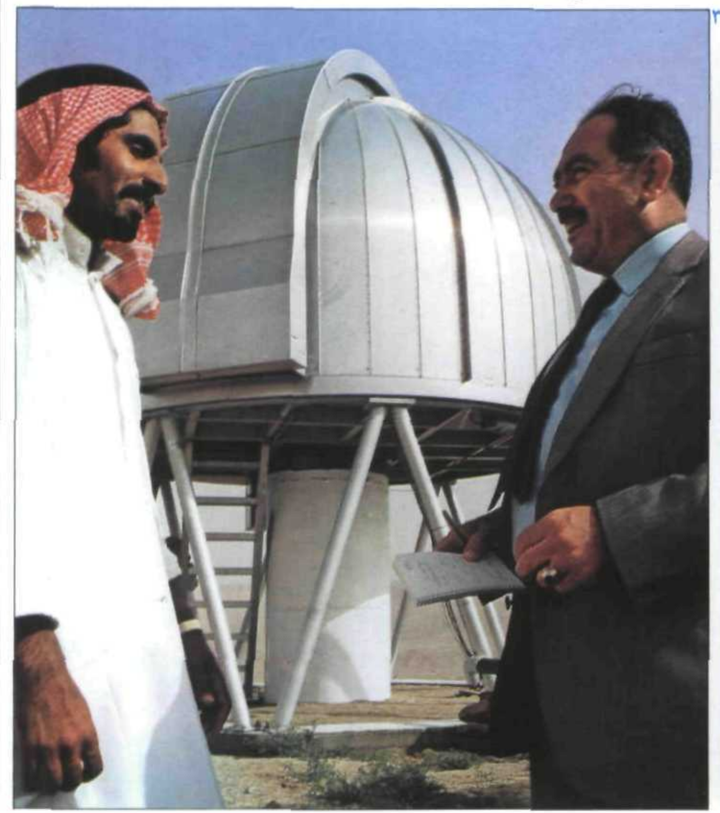
إدارة مختبرات الابحاث الوطنية

ان المسؤولية الملقاة على عاتق ادارة مختبرات الأبحاث الوطنية هي وضع الأسس العامة لمختبرات البحوث الوطنية، بالاضافة الى ادارتها والتنسيق مع الباحثين في الجامعات وغيرها من المؤسسات. وتعكف اللجان الاستشارية في المركز على دراسة التقارير التي أعدت من أجل انشاء معاهد للبحوث المتخصصة، كابحاث الطاقة، والابحاث الصناعية، وابحاث البترول والبتروكيميائيات وابحاث البيئة والثروات الطبيعية، وأبحاث الأراضي القاحلة، والآلات والأجهزة العلمية. وتتولى هذه المعاهد المتخصصة توفير الاهتمام والخبرة الوطنية في مجالات البحوث المختارة، ومتابعة التقدم العلمي والتكنولوجي الدولي، وتقييم صلاحية ما تحقق من تقدم في مجالات معينة لتلبية المتطلبات الوطنية، واجراء بحوث تجريبية وتحليلية شاملة، واعداد برامج تنموية لحل المشكلات التي تؤثر بشكل مباشر على برامج التنمية، وتشغيل وصيانة المرافق والتجهيزات الخاصة باجراء التجارب والاختبارات.

إدارة الشؤون الادارية

أنشئت هذه الادارة حديثا، وأسندت اليها مسؤوليات الشؤون المالية، والموظفين والمشتريات، والمستودعات المركزية، والخدمات العامة، والخدمات المساعدة. وتقدم هذه الادارة الدعم والمساندة لجميع ادارات المركز الأخرى، كما تقدم الخدمات الادارية لتنسيق ومتابعة تنفيذ خطة العلوم والتكنولوجيا الوطنية. وتعمل بالتنسيق مع المركز، كوحدة متكاملة، على تطوير مرافقه وبرامجه، ويتم تنفيذها على مراحل تتفق مع الأولويات الاستراتيجية، الخاصة بخطة العلوم والتكنولوجيا الوطنية، كما تتوافق مع الهدف الذي يدعو الى اشراك السعوديين الى أقصى حد ممكن في برامج البحوث، سواء على مستوى اتخاذ القرارات والتخطيط أو على مستوى الادارة والتنفيذ. والجدير بالذكر أن المركز في سبيل استقطاب الكفاءات الوطنية واجتذاب أفضل العناصر للعمل فيه، كما يعمل





٣

على توفير كل ما يمكن من المزايا والتسهيلات للعاملين فيه.

التجربة السعودية في مجال الطاقة الشمسية

خلال المحادثات التي عقدت بين صاحب الجلالة الملك فهد بن عبد العزيز، حين كان وليا للعهد، والرئيس الأمريكي السابق جيمي كارتر، في مايو ١٩٧٧م، تم الاتفاق على انشاء برنامج مشترك لأبحاث الطاقة الشمسية. وفي أكتوبر ١٩٧٧، وقعت الدولتان الاتفاقية الخاصة بأبحاث الطاقة الشمسية، ويشرف على البرنامج من المملكة العربية السعودية المركز الوطني للعلوم والتكنولوجيا، ومن الولايات المتحدة الأمريكية وزارة الطاقة تحت اطار اللجنة السعودية الأمريكية المشتركة للتعاون الاقتصادي. وتشتمل أهداف برنامج الطاقة الشمسية على الاسراع في تطوير وتنمية تكنولوجيا الطاقة الشمسية لاستخدامها في المناطق الزراعية والمناطق النائية، وفي المدن، وفي مجال الصناعة، كما يهدف هذا البرنامج الى تنمية القوى الوطنية العاملة في مجال الطاقة الشمسية. ويعتبر مشروع القرية الشمسية باكورة نشاطات المركز الوطني للعلوم والتكنولوجيا في مجال أبحاث الطاقة الشمسية بالمملكة العربية السعودية والتجربة الرائدة في هذا المجال. كما يعتبر هذا المشروع أكبر مشروع للطاقة الشمسية في العالم. والهدف منه امداد المناطق النائية التي لا يصلها التيار الكهربائي بمصدر للقوة الكهربائية من الطاقة الشمسية والارتقاء بمستوى المعيشة في الريف. ويقع مشروع القرية الشمسية بالقرب من قريتي الجبيلة والعيينة، ويبعد نحو خمسين كيلومترا شمال غرب الرياض. وقد صممت وحدة المجمع الشمسي وصنعت وأنشئت لامداد قرى العيينة والجبيلة والهجرة بالتيار الكهربائي. وهي قرى صغيرة تعتبر نموذجا للقرى في المناطق النائية. ويصل تعداد السكان في هذه القرى نحو ٤٠٠٠ نسمة، وهي موطن لزارعي المحاصيل بوادي حنيفة ولبعض التجار والحرفيين في مدينة الرياض. والجدير بالذكر أن الشباب الجامعي السعودي قد شارك في جميع مراحل المشروع المختلفة من اعداد وتخطيط مرورا بمرحلة التصنيع الى مرحلة الانشاء والتجارب والتشغيل. وهذه المشاركة تأتي في صميم البرنامج المتكامل المعد للتدريب النظري والعملي لاعداد جيل يلم بتكنولوجيا الطاقة الشمسية. وتشغل أجزاء مشروع القرية الشمسية مساحة قدرها ٧٦١٨٠ مترا مربعا، وتتكون من حقل المجمعات الشمسية وعددها ١٦٠ مجمعا لانتاج ٣٥٠ كيلواط وتغطي مساحة قدرها ٤٠٠٠٠ متر مربع، بالاضافة الى أجهزة المراقبة والتحكم التي تشتمل على وحدات استقبال اشارة التشغيل وجهاز لوحة التحكم وجهاز كمبيوتر للمراقبة وجهاز كمبيوتر آخر



لقياس المعلومات وتسجيلها ولوحة عرض بارشادات ضوئية، وأجهزة تخزين الطاقة في بطاريات حامضية ضخمة قدرتها ١١٠٠ كليواط/ ساعة، تكون مصدرا للطاقة الكهربائية أثناء الليل وأثناء فترات احتجاب الشمس بسبب الغيوم وفي حالات العواصف الجوية، وجهاز تجميع بيانات الطاقة الشمسية الذي يعمل ذاتيا على تجميع وتسجيل بيانات الطقس، بما في ذلك الاسقاط الشمسي. ويتم تشغيل محطة الطاقة الشمسية بنظام العمل الذاتي بطريقتين أساسيتين، تعرف أحداهما بطريقة التشغيل المنفرد، حيث تقوم المجمعات الشمسية بامداد القرى بالطاقة الكهربائية وتغذية البطاريات بالطاقة اللازمة في الوقت ذاته. أما الطريقة الأخرى فتعرف بطريقة التشغيل المزدوج حيث تقوم مولدات كهربائية تعمل على وقود الديزل بمشاركة المجمعات الشمسية في انتاج الطاقة الكهربائية بصورة مزدوجة.

وفي نطاق التعاون الفني مع الولايات المتحدة الامريكية في مجال الطاقة الشمسية يقوم المركز الوطني للعلوم والتكنولوجيا بدراسة استخدام الطاقة الشمسية في مشاريع الزراعة المحمية، وتحلية المياه المالحة، والتبريد والتسخين، وهي مشاريع في طريقها الآن الى حيز التنفيذ الفعلي.

مشروع المرصد الوطني

في مطلع عام ١٣٩٩هـ أسند مجلس الوزراء مهمة انشاء مرصد وطني الى مركز العلوم والتكنولوجيا باعتباره الجهة التي تتولى دعم وتشجيع البحث العلمي، وتنسيق نشاطات مؤسسات ومراكز البحوث العلمية على مستوى المملكة. وبناء عليه وقع المركز

اتفاقية للتعاون مع مجلس البحوث الوطني الكندي (NRC) و«مرصد الدومنيون الفيزيائي الفلكي — Dominion Astrophysical Observatory» لاجراء مسح شامل لمناطق المملكة واجراء الدراسات الفنية اللازمة لاختيار موقع مناسب لاقامة المرصد، وفي اطار تلك الاتفاقية تم اختيار أربعة مواقع لاجراء اختبارات عليها في سبيل اختيار أنسبها للمرصد الوطني. ثم جرى اعداد تلك المواقع وتهيئتها لاقامة الخبراء العاملين فيها بعد تمهيد الطرق المؤدية الى كل منها وربطها بشبكة اتصال لاسلكي. وهذه المواقع الأربعة هي: جبل الطويلة قرب حداد بني مالك ويبعد ١٦٨ كيلومترا جنوب الطائف ويرتفع عن مستوى سطح البحر ٦٨٠٠ قدم، وجبل الجميرة قرب الخضراء في آل جميرة ويبعد ١٧٠ كيلومترا شمال ابها ويرتفع ٧٨٠٠ قدم، وجبل الفرعة قرب النماص ويبعد ١٧٠ كيلومترا شمال أبها ويرتفع ٧٥٠٠ قدم، وجبل الحريق ويبعد ٢٣٤ كيلومترا جنوب الرياض ويرتفع ٢٩٠٠ قدم عن مستوى سطح البحر. ثم جرى تركيب الأجهزة العلمية اللازمة لأجراء الاختبارات في تلك المواقع كالتلسكوبات والقبب وقياس شدة الضوء وأجهزة المراقبة وشبكات الاتصال اللاسلكي وغيرها. وقد قمنا بزيارة المرصد المؤقت القائم في الحريق بمرافقة مدير المشروع الاستاذ صالح محمد الصعب وعدد من المعنيين بهذا المشروع. وقد قال الاستاذ الصعب ان الهدف من انشاء المرصد الوطني علمي بحت، ينحصر في اجراء البحوث العلمية الفلكية، ورصد الأجرام الكونية من مجرات ونجوم وكواكب وسدم وغيرها، ومضى يقول: اننا نقوم حاليا باختبارات المعايرة والرصد المتزامن لعدد من النجوم كل ليلة، وتسجيل العديد من القراءات الفلكية التي سيجري فرزها ومقارنتها وبالتالي تقرير الموقع المناسب لانشاء المرصد الفلكي الوطني. وقد شارفت أعمال اختبار المواقع على النهاية. وسيكون المرصد الفلكي الوطني في المملكة أكبر المراصد الفلكية في الشرق الأوسط. والجدير بالذكر أن المركز قام بتنظيم دورات تدريبية مكثفة لعدد من الشباب السعودي المؤهل لمثل هذا العمل، حيث تلقوا تدريبا نظريا وعمليا واسع النطاق في مجال الفلك والرياضيات، وأصبحت لديهم القدرة والكفاءة على أداء المهام الموكلة اليهم.

مشروع تربية الأسماك

من بين المشاريع ذات الأغراض التطبيقية التي تعتبر من صميم أهداف المركز الوطني للعلوم والتكنولوجيا، مشروع تربية الأسماك، وخاصة في المناطق البعيدة عن البحار والمحيطات كالمنطقة الوسطى في المملكة العربية

١ — جانب من حقل المجمعات الشمسية الذي يمد قرى الجبيلة والعيينة والهجرة بالطاقة الكهربائية.

٢ — غرفة المراقبة في مشروع القرية الشمسية.

٣ — احدى القرى التي تتزود بالطاقة الكهربائية من مشروع القرية الشمسية.

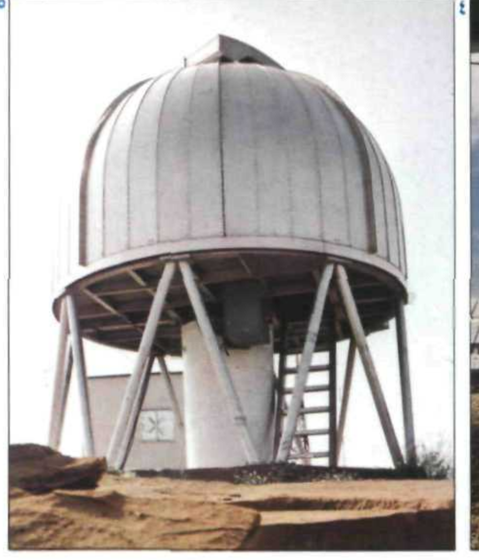
٤ — ينتج حقل المجمعات الشمسية في محطة الطاقة الشمسية قدرة كهربائية مقدارها ٣٥٠ كيلواط.

٥ — هذا أحد المراصد الأربعة التي أقامها المركز الوطني للعلوم والتكنولوجيا في الحريق توطئة لاختيار الموقع المناسب لانشاء المرصد الوطني.

٣



٥



٤



السعودية. ويتم هذا بانشاء مزارع سمكية تربى فيها أنواع جيدة وسريعة النمو من الأسماك في مساحات محصورة من المياه، سواء كان ذلك في برك المياه الداخلية العذبة منها أو شبه المالحة أو في أحواض خاصة، ومن ثم العناية بها وبتغذيتها للحصول على قدر من الغذاء. ولقد تم اختيار محطة الأبحاث بمنطقة ديراب التابعة لكلية الزراعة بجامعة الملك سعود بالرياض لتكون مقرا لمشروع تربية الأسماك وذلك للحصول على الكمية اللازمة من المياه للمشروع. وقد شرح لنا الأستاذ حمد محمد الحنطي فكرة المشروع وأهدافه قائلا: الهدف من هذا المشروع هو انتاج اليرقات المناسبة للظروف البيئية في تلك المنطقة، ومن ثم توزيعها للقطاع الخاص من المزارعين ليتم استكمال نموها وتربيتها في مزارعهم الخاصة بتوجيهات وارشادات المختصين في المشروع. وتتراوح فترة التغذية بين ٤ و٦ شهور تصبح بعدها الأسماك جاهزة للاستهلاك المحلي، علما بأن تكلفة تربيتها زهيدة. وقد حقق هذا المشروع نجاحا كبيرا وازداد عدد المزارعين الذين شرعوا في انشاء المزارع السمكية في المنطقة. أما الأنواع التي تجري تربيتها في الاحواض فهي من نوع البلطي الذهبي والأبيض الذي يعيش في نهر النيل، والشبوط الذي يعيش في نهر الفرات. وتشتمل محطة الأسماك على أحواض خرسانية مختلفة الأحجام لتربية الأسماك، وأجهزة تدفئة وتكييف التحكم بدرجات الحرارة والرطوبة وجميع العوامل المناخية التي لها تأثير مباشر على الأسماك، وتحديدات خاصة للتهوية من أجل تنفس الأسماك، ومختبر مزود بأجهزة خاصة لتحليل المياه وقياس ذوبان الاكسجين وما الى ذلك.







١ — سمكة من نوع البلطي بين يدي أحد العاملين في مشروع تربية الأسماك.

٢ — مجموعة كبيرة من الأسماك في أحد الأحواض الخرسانية في محطة تربية الأسماك في ديراب التي تبعد نحو ٣٠ كيلومترا عن الرياض.

٣ — تستخدم الشباك لصيد الأسماك الكبيرة من الأحواض.

تصوير: مايك اسحاق

تطوير منشآت المركز

لقد منحت الدولة المركز قطعة أرض مساحتها حوالي مليون متر مربع بالقرب من طريق الدرعية وبجوار جامعة الملك سعود لاقامة مقره الجديد ومنشآته عليها. ولهذا الموقع مزايا كثيرة منها توسطه لكثير من المنشآت الهامة، ووقوعه بجانب جامعة الملك سعود التي تربطها بالمركز علاقات قوية، من المتوقع أن تتطور للاستفادة من امكانات البحث المادية والبشرية المتوفرة لدى كل منهما. وتشمل عناصر المخطط العام مجمع الادارات بما فيها المقر الرئيسي للمركز، وقاعات العلوم، ومركز المؤتمرات، والمعهد الوطني للأجهزة العلمية، والمختبر الوطني لأبحاث الطاقة، والمختبر الوطني لأبحاث الأراضي القاحلة، والمختبر الوطني لأبحاث الموارد الطبيعية والبيئية، والمختبر الوطني لأبحاث البترول والبتروكماويات، والمختبر الوطني لأبحاث الصناعة، ومرافق الاسكان، والمرافق التعليمية والاجتماعية والترفيهية والخدمات الأساسية. وقد وضعت خطة لتنفيذ المخطط العام لمنشآت المركز على ثلاث مراحل تطويرية تنتهي الأولى عام ١٤٠٥هـ، والثانية عام ١٤٢٠هـ. وقد انتهج المركز أسلوبا علميا في تخطيط وتصميم مرافقه، واستعان بمجموعة من ذوي الكفاءات العالية في مجالات التخطيط والعمارة والهندسة، للتعاون مع الشركات الاستشارية للوصول الى تحقيق أهداف المركز الرامية الى خلق مدينة علمية تكون نموذجا حيا يعكس استخدام تكنولوجيا البناء المتطورة، بحيث يراعى فيها خصائص التراث المعماري المحلي والبيئة الاسلامية، والتركيب الاجتماعي، والمرونة اللازمة للتطور والتغيير.

وأخيرا، ذلك هو المركز الوطني السعودي للعلوم والتكنولوجيا الذي يسعى الى اعداد جيل من الخبراء والباحثين قادر على مواكبة التطورات السريعة في مجالي العلوم والتكنولوجيا □

علاقة المعنى الاصطلاحي بالمعنى اللغوي (٢)

بقلم: د. عبد الصبور شاهين / جامعة البترول والمعادن

استعرضنا في المقالة الأولى من «دراسات في علم المصطلح العربي» تحديد «معنى المصطلح»، وسنستعرض في هذه المقالة الاجابة عن التساؤل عن العلاقة التي تربط المعنى الاصطلاحي المحدث بالمعنى الأصلي.

للاجابة عن هذا التساؤل، ينبغي أن ندرك ابتداء أن النشاط اللغوي لدى الفرد لا يجري في فراغ، بل ان لكل حدث لغوي تفسيره في عقل الفرد المتكلم، فهو لا يتصرف عشوائيا، وانما يتصرف مدركا وجه التناسب بين تصرفه وتصرف الآخرين، ولنأخذ مثلا كلمة «الخنزيرة» وهي تطلق أصلا على أنثى «الخنزير»، ثم استعملت للدلالة على آلة ميكانيكية لرفع الأثقال أو جرها، سيان، ولا صلة في الظاهر بين المعنى اللغوي الأصلي والمعنى الاصطلاحي، ومع ذلك فلسنا نستبعد أن يكون الفرد الذي استعملها لأول مرة في المعنى الجديد قد لاحظ وجه الشبه بين الخنزيرة الحيوان والخنزيرة الحديد، وربما قصد من أطلق (الخنازير) على قروح الرقبة تقبيح صورتها، اذ أنها تحول الرقبة المصابة الى شكل رقبة الخنزير، فكأن المصاب بهذه القروح يحمل على رقبته عدة خنازير. أو ربما كانت القروح في شكل الخنزير، أو في طبعها، أو في نتنها!!

ومن الواجب أن نتصور الأمر على هذا النحو، لأن المتكلم لا يمكن أن يتصرف في لغته الا باملاء مجموعة العادات اللغوية التي ترسبت في ذوقه، وكونت لديه ما يعرف بالسليقة.

وكذلك الحال في استخدام مصطلح «الضفدع» للدلالة على «غدة تنعقد تحت اللسان»، فلا بد أنها شبيهة بالضفدع، فأطلقت عليها، وأصبحت اطلاقا متطورا للفظ في مرحلة زمنية مبكرة.

وكذلك لفظة «الرحا» التي أطلقت على «علة تحدث للمرأة تشبه حالها حال الحبلى في عظم البطن»، فلا شك أن هذه الحالة تحول بطن المرأة الى ما يشبه الرحا في الاستدارة، أو قد يكون الألم من العلة بحيث يجعل المرأة تدور في بيتها، أو تتقلب في فراشها كالرحا، فأطلقت عليها.

وقد لاحظنا أن العلاقة بين المعنى القديم والمعنى المستحدث هو وجود شبه بينهما أدى الى استعارة اللفظ للمعنى الجديد، غير أن علاقة المشابهة ليست هي العلاقة المتفردة في هذا الباب، اذ أن هناك علاقات أخرى تدعو الى استعمال هذا المجاز.

ومن ذلك ما نلاحظه من أن كلمة «الوظيفة» كان يقصد بها «المال» في ثقافة القرن الرابع الهجري، ثم أطلقت على ما هو سبب في الحصول على المال وهو «العمل» في عصرنا هذا، فالعلاقة هنا سببية، ونحن نستعمل هذا اللفظ الآن استعمالا متطورا جدا، فقد أصبحنا «نوظف» المعنويات، وأغلب الظن أن ذلك كان بتأثير الترجمة عن اللغات الأوربية الحديثة.

واذا عدنا الى تحليل لفظة «بريد» فسنجد أنها فارسية مأخوذة من التعبير الفارسي «بريدة دنب» أي: محذوف الذنب، وهو وصف لبغال البريد التي كانت محذوفة الأذناب دائما، ثم سمي البغل بعد ذلك بريدا، وسمي الرسول الذي يركبه بريدا، والمسافة التي بعدها فرسخان: بريدا(١)، ثم انتهى الأمر بالكلمة الى اطلاقها على الرسائل التي يحملها ساعي البريد، فالعلاقة هنا تتمثل في اطلاق وصف الحامل على المحمول، للسببية، أو للمجاورة، وكل ذلك مظهر من مظاهر التطور في الدلالة.

واذا تأملنا مصطلح «مؤامرة» فسوف نجد أن معناه كما يقول الخوارزمي: (عمل تجمع فيه الأوامر الخارجة في مدة أيام الطمع، ويوقع السلطان في آخره باجازة ذلك). فكأن «المؤامرة» هي صحيفة الأوامر الصادرة عن السلطان، ولكن معنى الكلمة يتطور فاذا بالمؤامرة: اتفاق سري بين جماعة من العصاة لارتكاب جريمة ما، ولعل العلاقة بين المعنيين هي هذا التضاد بين كون الأوامر قديما علنية معتمدة من السلطان، وكونها حديثا سرية فيما تدل عليه الكلمة في عصرنا، فجاز أن تطلق كلمة على هذا المعنى الأخير مجازا علاقته التضاد، وذلك كما تطلق السيئة على الجزاء، وهما ضدان.

ولو أننا قرأنا مثلا عبارة حنين بن اسحاق في مقالته الثانية عن «طبيعة الدماغ ومنافعه حين قال: «ان الدماغ ابتداء الحس والحركة الارادية والسياسية»»(٢)، فسوف يشدنا استخدامه للصفة «السياسية» في هذا السياق، الذي يبتعد بها عن معناها المألوف لنا، ليجعلها تعني قيادة الجسد وتوجيهه. لكنّا عند التدقيق نجد أن الكلمة لم تبتعد عن مفهومها المألوف كثيرا، أو لنقل: ان المعنى الحديث قد قام على أساس المعنى القديم، حين

وسع مجال استعمال الكلمة بنقله من ادارة الجسد البشري الى ادارة الكيان الاجتماعي، بصرف النظر عن أنها تستعمل أيضا مشوبة ببعض النفاق والزيف والتضليل، كما اذا استعملت في وصف «المؤامرة» بأنها «سياسية» مثلا، وبذلك يتضح لنا أن كثيرا مما نستخدم من اللغة هو في الواقع خارج عن معناه الأصلي أو التاريخي. الى معان محدثة متطورة، نتيجة حركة اللغة المستمرة.

ومن المصطلحات ما يرتبط بمجموعة من المصطلحات، من حيث هو أصل لها، وهي فرع عنه، فاذا تغير معنى الأصل تغير معنى الفرع تلقائيا. ومن الأمثلة على ذلك مصطلح «الكيمياء» ويرى الخوارزمي أنه عربي الأرومة، من كمى يكمى: اذا ستر، فكان معنى «الكيمياء» وقد ارتبط هذا المفهوم بمجموعة من المصطلحات مثل (الاكسير)، و«الحجر»، وفسر «الاكسير» بأنه «هو الدواء الذي اذا طبخ به الجسم المذاب جعله ذهبا أو فضة، أو غيره الى البياض، أو الصفرة»(٣)، وفسر «الحجر» بأنه (هو الشيء الذي يكون منه الصنعة، أعني: الذي يعمل منه الاكسير، وهو صنفان: حيواني ومعدني، وأفضلها الحيواني.. الخ)(٤).

وجاء عصرنا بمفهوم مختلف لعلم «الكيمياء»، فأصبح العلم الذي «يتعامل مع تركيب المواد وبنيتها وخواصها، والتغيرات التي تتعرض لها»(٥)، لقد صارت مهمة الكيمياء اذن تحليلية دراسية، ولم تعد علما أشبه بالسحر، يحول النحاس الى ذهب، ومن ثم اختفت من مجالها مصطلحات «الاكسير والحجر، والصنعة والحكمة»، وبقي من مصطلحاتها القديمة ما يخدم المرحلة الجديدة كالأنبوبة، والأنبيق، والبوطقة (البودقة أو البوتقة في المعجم الوسيط)، وكذلك بقيت مصطلحات: التقطير والتحليل والتكليس الخ... دون تطور يذكر في مدلولاتها.

والعجيب أن مصطلح «اكسير» قد بقي في اللغة على معناه القديم دون تغير يذكر، وقد جاء في المعجم الوسيط أنه: «مادة مركبة كان الأقدمون يزعمون أنها تحول المعدن الرخيص الى ذهب»، وأيضا: «شراب في زعمهم يطيل الحياة» فهو على كل حال مقرون بزعم الأقدمين، وهو فارسي الأصل.

ان المتتبع للمصطلحات الواردة في فصل «المولد المعنوي» يجد أن كل مصطلح يدل على معنيين، أحدهما قديم وأصلي، والآخر حديث ومجازي، كما في «المبلغ» بمعنى المنتهى «أصلا» في قوله تعالى: «ذلك مبلغهم من العلم»، وبمعنى المقدار من المال «مولد»، والعلاقة ظاهرة في اطلاق «المبلغ المطلق» على «المبلغ المالي»، أي: القدر الذي بلغه المال موضوع الحديث أو التقدير أو المطالبة.

و«الزبيب» أصلا — ما جفف من العنب، ولكن يطلق الآن على الشراب الكحولي المتخذ من العنب، فالعلاقة المجازية بين المعنيين هي كون الزبيب والشراب غايتين للعنب، فأطلق الزبيب على الشراب لاجتماعها في الأصل الذي اشتقا منه.

ومصطلح «السلفة» في الأصل بمعنى: قليل من الطعام للجائع، ولكنه أصبح بمعنى المال المقترض، وقد صح هذا المجاز بجامع الحاجة في كل، فالجائع والمفلس متشابهان في الحاجة الى ما يسد الخلة، ويقيم الأود.

وهكذا ليس عسيرا أن نفسر العلاقة بين المعنى الأصلي والمعنى المستحدث في ضوء العلاقات المجازية، في أغلب الحالات، وان صعب ذلك في قليل من الأمثلة، ولكن صعوبة ادراك العلاقة لا يعني عدم وجودها، فقد تكون العلاقة بعيدة، أو منسية، فيصير التعامل مع اللفظ بمعناه الجديد كأنه تعامل مع الحقيقة، وهذا ما نلاحظه في استعمالنا لمصطلح «بريد»، الذي لم نكن نعرف جذوره الأولى، لفظا ودلالة واستعمالا، قبل أن نقرأ تحليل الخوارزمي له.

العلاقة بين اللفظ والمعنى

تختلف علاقة الانسان بالفاظ اللغة التي ينطقها من كلمة الى أخرى، فهناك ألفاظ نحب تكرارها على ألسنتنا، ونردد ذكرها بقلوبنا، لأن لمدلولها علاقة بعواطفنا، فكلما ذكر اللفظ هاجت الأشواق، وفارت الشجون، وربما طفرت من العين دمعة رقراقة من فيض تأثيره على الوجدان.

تلك ولا شك أحوال المحبين المولهين، الذائبين في هوى من يعشقون. وخذ مثلا لفظ الجلالة «الله»، ولهذا اللفظ من القداسة والجلال على مستوى الانسانية المتدينة ما لا تقاس به قيمة لفظ آخر، ان المؤمن اذا ذكر الله وجل قلبه، واقشعر جلده، لما يستشعر من مهابة خالقه، وحبه في آن، فان لكل حرف من حروف هذا الاسم العظيم تأثيرا قدسيا لا يتصور أن يتخلف في لحظة ما لدى انسان، الا القاسية قلوبهم من ذكره.

وكذلك الحال — أو قريبا منه — عند ذكر أسماء الأنبياء والشهداء، والصالحين، حيث تتملكنا مشاعر الاعجاب والولاء والعرفان، لما نجد في ذكرهم من معاني البطولة والصبر والقداسة. ولقد نجد أمثال هذه المشاعر لدى العشاق، اذ لا يفتأ العاشق يردد اسم من يحب، وكأنه تميمة تمنحه — في وهمه — الأمان.

وعلى نقيض ذلك قد يشعر المرء بالاشمئزاز والفزع والمقت عندما يرد أمامه ذكر بعض الكائنات الكريهة كالشيطان، أو خائن الوطن، أو الملحد في الدين، أو دراكولا، أو حين يسمع من غيره كلاما يحمل في طياته نغمة حقد، أو حتى حين يسمع الأطفال كلمة العفريت، أو البعبع، يخوفون به.

ومعنى ذلك أن للألفاظ، أو على الأقل بعضها، تأثيرا في وجدان المستمع، قد لا يكون لبعضها الآخر، وهنا تثور أسئلة: أيمكن أن يعزى هذا التأثير لأصوات اللفظ؟ أم لمعناه؟ أم لكليهما مرتبطين؟... وما معنى الارتباط بين اللفظ والمعنى؟ وما مرد تأثير بعض الألفاظ دون بعض؟..

ونبدأ القصة من أولها، لنجيب على هذه الأسئلة، فان الانسان قد استعمل اللغة ابتداء للتعبير عن عواطفه وانفعالاته، ومن ثم ارتبط بعض الأصوات لديه ببعض الانفعالات، وهو ما يفسر اشتراك الانسانية كلها في أداء بعض الأصوات المصاحبة

لانفعالات معينة، مثلا حين يضحك الانسان، أو حين يبكي، أو حين يعبر عن دهشته، أو حين يتألم، الأصوات هي هي تقريبا: صوت الهاء ممتزجا ببعض الحركات، وهي تعبيرات انفعالية تعد من رصيد اللغة الانسانية، حيث يرتبط اللفظ بالمعنى.

كذلك عرفت اللغات نوعا من الكلمات ارتبط فيه اللفظ بالمعنى، وهي الكلمات التي تحاكي أصواتا في الطبيعة أو لمخلوقات الله، كما جاء في العربية من ألفاظ: الحفيف، والخرير، والصهيل، والعواء، والصرصرة، والزئير، والبم، والتنوين، وفي الفرنسية ألفاظ نعرفها من هذا القبيل، مثل: « Bombe » بمعنى قنبلة، و« Resonance » بمعنى رنين، و« Sonner » بمعنى دق الجرس. وقد تكون المحاكاة الصوتية مشتركة بين الفرنسية والانجليزية مثل « Cock » اسما للديك، وقد تشيع المحاكاة في مهنة معينة، كما يقال من أن النوتة الموسيقية للطبلة تقتصر على كلمتين هما «دم طك».

وقد أطلق على هذا النوع من الكلمات « Onomatopoeia »، وهي كلمات مهما بلغت قليلة العدد في كل لغة.

أما بقية ما استعمله الانسان من ألفاظ اللغة فهو تركيب لأصوات مختلفة، اتخذها علامة على مدلول معين، أو كما قال الدكتور ابراهيم أنيس: «الألفاظ لا تعدو في حقيقتها أن تكون بمثابة الرموز على الدلالات، كل لفظ يصلح أن يتخذ للتعبير عن أي معنى من المعاني، فما يسمى بالشجرة يمكن أن يسمى بأي لفظ آخر متى اصطلح الناس عليه، وتواضعوا على استعماله (٦).

واذا كانت العلاقة بين اللفظ ومدلوله رمزية على ما قرر أستاذنا فان التأثير الذي تمارسه بعض الألفاظ على وجدان الفرد ليس مرده اذن الى خواص الأصوات، بل الى ما قر في النفس من اعتقاد وعاطفة جياشة تجاه حقيقة المعبود أو المحبوب، أي ان مرده الى الخلفية النفسية والثقافية، فقد تعود الناطق أن يتعامل مع اللفظ مقرونا بدلالته المقدسة، أو مقرونا بمشاعر الخوف أو الرعب من المسمى، وغرس ذلك في نفسه منذ تلقى اللغة طفلا، ولاحظ أن الكبار يتعاملون مع هذا اللفظ تعاملا خاصا، فقلدهم فيما يفعلون، واكتسب عادة سلوكية قائمة على عرف لغوي، وحين تكتمل في المستقبل أداته اللغوية فسوف يكون له مواقفه من بعض الألفاظ الاثيرة عنده، لا لأن أصواتها ذات وقع خاص، ولكن لأنه يعبر بها عن أحلامه وأمانيه، فهي في الحقيقة صيغة هذه الأماني والأحلام.

والحالة الوحيدة التي تبرز فيها دلالة الصوت مادة وجرسا في حالة انشاد الشعر، فالشعراء يتوهمون، أو هم يتذوقون في الكلمات ايقاعا موسيقيا يتصل باهتماماتهم الشعرية، أما فيما عدا ذلك فليست هناك أية رابطة طبيعية بين الأصوات ودلالتها، بل هي —كما قلنا— رابطة عرفية خالصة. فاذا نقلنا هذا التحديد لعلاقة اللفظ بالمعنى الى مجال المصطلحات العلمية كان الأمر أبين وأظهر، فليس في اللغة أصوات أو تراكيب صوتية تختص بالدلالة العلمية، وانما هي رموز تشير الى معان اصطلاحية، سواء أكانت تراكيب، أم مفردات، أم اختصارات، ولا علاقة بين حجم المصطلح وحجم المعنى الذي يدل عليه، فقد يرمز حرف واحد الى مدلول ضخم، وقد يدل تركيب من الكلمات على شيء ضئيل المقدار، ذلك اننا لا نستخدم المصطلح ليصف لنا ما ينضوي تحته من حقيقة علمية، بل نريده مجرد رمز لها، يساعد على استحضارها فكريا، ومن هنا يقول أحد الباحثين اللغويين: «المصطلح لا يعني تسمية جامعة مانعة للمسمى — كما يظن بعض الناس، بل يرمز اليه رمزا» ثم يقول: «فالاصطلاح مقصر دائما عن الاحاطة بمعنى الشيء المسمى اصطلاحا» (٧).

على أن تقرير هذه الحقيقة لا ينسينا أن بعض أصوات اللغة يقوم بدور في تقوية الرمز الى مدلوله، كما نستشعر حين ننطق بكلمة «مضخة» أن الخاء صوت قوي عنيف، وكذلك حين نصف نزول المطر بغزارة فنطلق عليه «زخات المطر» كأنما توحي الخاء بهطول المطر على شكل دفعات تضرب الأرض وتشق قلبها. وقد تسمى هذه الظاهرة: «الدلالة الصوتية» وعلى قياسها يمكن أن نلمس في الصيغة الصرفية دلالة، كالمبالغة التي يدل عليها تضعيف عين الصيغة، في مثل: «كذاب» في مقابل «كاذب»، و«علاّمة» في مقابل «عالم».

وللتركيب النحوي أيضا دلالة، أو دور في الدلالة، بحيث لو انتقض ترتيب الكلمات لانتقضت الدلالة، وخذ مثلا قولنا: «لله في خلقه شئون»، فان التركيب على هذا النحو يؤدي معنى اختصاص الله بتدبير شئون خلقه، وهذا المعنى لا يؤدى الا من خلال هذا الترتيب للكلمات داخل التركيب، ولو أننا قلنا: «شئون في خلقه لله» أو «في خلقه شئون لله» لضعف التركيب عن أداء ما هدفنا الى التعبير به عنه.

وللحياة الاجتماعية أثرها في تحديد دلالة اللفظ، كما أن للمعجم دوره في وصف الدلالة اللغوية. ومع وجود كل هذه المستويات في تحليلنا لدلالة اللفظ فان المواضعة العلمية هي التي تنهض بالدور الأكبر في تحديد معنى المصطلح العلمي، مع ادراكنا لدور مستويات التحليل السابقة التي تعد عوامل مساعدة □

١ — مفاتيح العلوم/٥٨

٢ — كتاب العشر مقالات في العين ص/٨٣

٣ — كتاب العشر مقالات في العين ص/٣٦٥

٤ — كتاب العشر مقالات في العين ص/٣٦٥

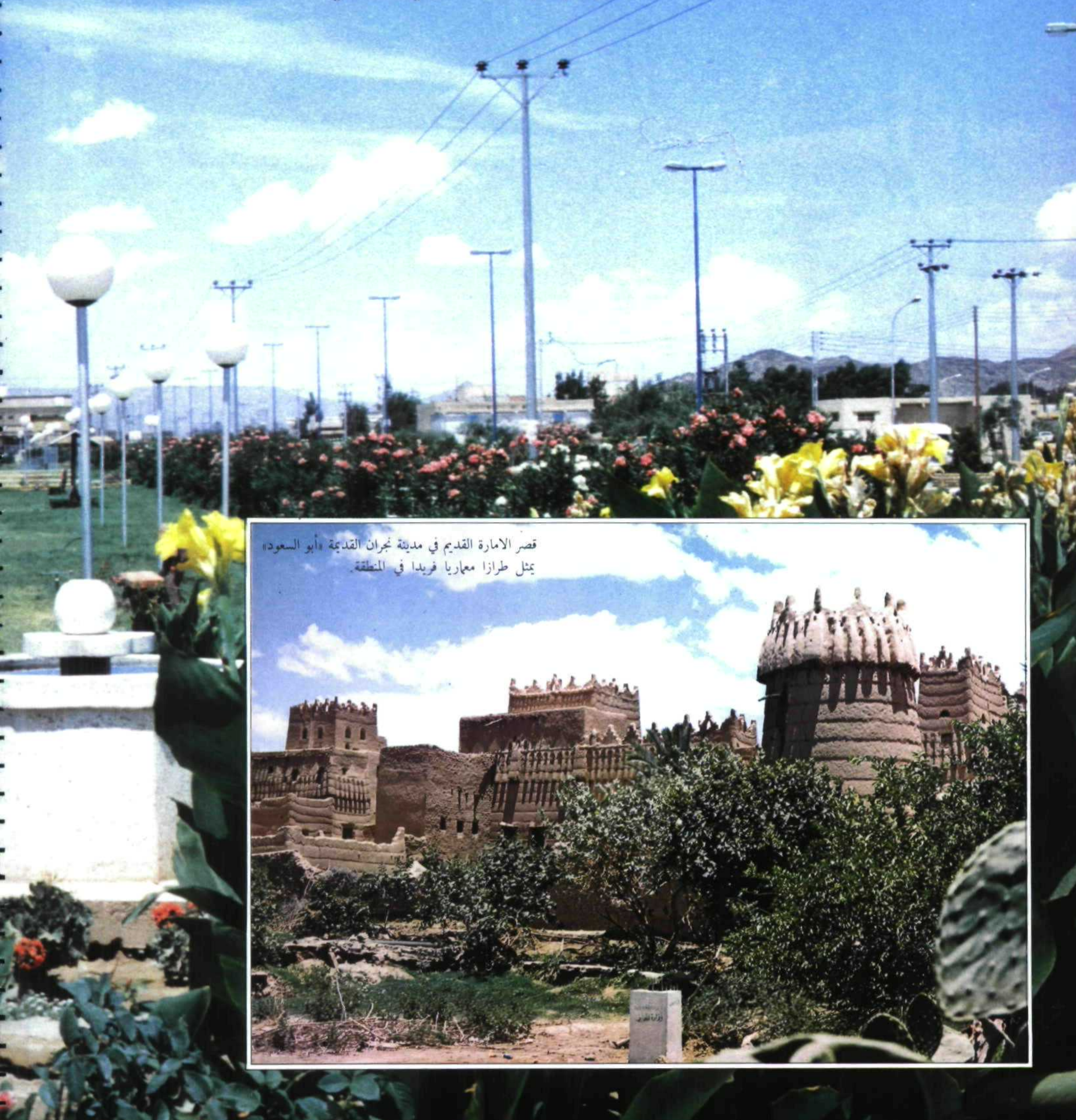
٥ — «معجم وبستر». ويرى «ادوارد ثورب» في كتابه «تاريخ الكيمياء» أن الكلمة مأخوذة من الأصل «Chem» ويقصد بها الأرض السوداء، وقد كان قدماء المصريين يسمون أرضهم مصر: الأرض السوداء «كمت»، ثم حورت اللفظة من «شم—Chem» الى «كم» ثم صارت «Chemis» في عهد البطالسة، وهي الصنعة التي اشتهر بها المصريون ويرى عمر رضا كحالة في كتابه «العلوم البحتة في العصور الاسلامية» أن أصل الكلمة عبراني «كيم به» أي: «من الله».

٦ — «دلالة الألفاظ» ص/٧٢

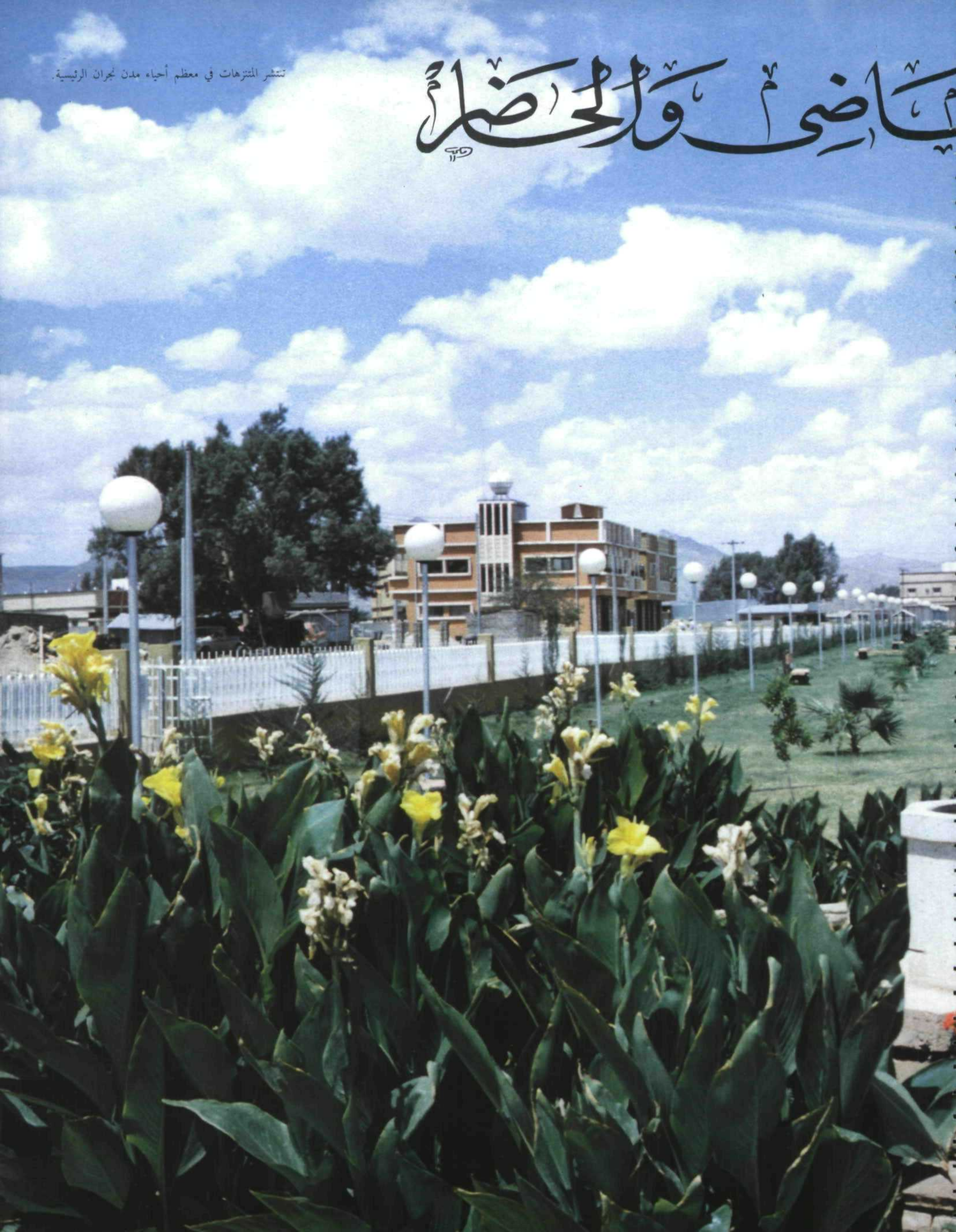
٧ — من مقال للدكتور عبد الكريم خليفة بعنوان (وسائل تطوير اللغة العربية العلمية) نشر عام ١٩٧٤م.

نجران بين الم

بقلم : عبدالله الخالد / هيئة التحرير



قصر الامارة القديم في مدينة نجران القديمة «أبو السعود»
يمثل طرازا معماريا فريدا في المنطقة.



اضي والحاضر

تنتشر المتنزهات في معظم أحياء مدن نجران الرئيسية.

تمتد أذرع الجبال لتحتضن حبات رمال الصحراء مشكلة لوحة رائعة للأمومة، أمومة الأرض للأرض، تلك هي نجران «زمردة الجنوب».

أما النجراني فهو انسان امتزجت فيه طيبة القروي بكرم البدوي، فأنتجت انسانا طيب الشمائل حسن الخصال، يلقاك بالبشر والترحاب وكأنه يعرفك منذ سنين طوال.

«نجران» اسم يحمل في طياته الكثير من أحاديث الحضارة والتراث، وقد سميت بهذا الاسم حسب قول ياقوت الحموي صاحب كتاب «معجم البلدان»، نسبة الى «نجران بن زيدان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. لأنه أول من نزلها وعمّرها». ونجران بلدة شهدت تعاقب حضارات عديدة، فقد كانت سوحها مسرحا لمعارك وصراعات كثيرة على مر التاريخ، وبالرغم من الغموض الذي يكتنف تاريخ نجران القديم فان اشارات الى هذا التاريخ توصل اليها بعض المستشرقين قد أجلت بعض الغموض عن هذا التاريخ. ولعل أهم اشارة عن تاريخ نجران القديم هو ما ذكر في الآيات الكريمة عن مدينة الأخدود في قوله تعالى من سورة البروج **«والسماء ذات البروج، واليوم الموعود، وشاهد ومشهود، قتل أصحاب الأخدود، النار ذات الوقود...»**. ومدينة الأخدود هي مدينة أثرية تقع وسط وادي نجران، والمتبقي منها الآن أطلال قليلة سنقوم باعطاء نبذة مختصرة عنها في سطور لاحقة.

ونجران، لغة، معناها «رتاج الباب» أو الخشبة التي تدور عليها رجل الباب، وفي ذلك أنشدوا:

صببت الماء في النجران حتى
تركت الباب ليس له صرير

وقد ورد ذكر «نجران» في العديد من الكتب، وفي ذلك يقول الرحالة فؤاد حمزة في كتابه «في بلاد عسير»: «ورد ذكر نجران في كثير من الكتب العربية، غير أنه يتراءى لي أن الذين كتبوا عنها في الأعصر القديمة انما كتبوا ما سمعوه كما فعل المتأخرون والفرق بين كتابة السامع والشاهد فرق عظيم». كما ورد ذكر نجران في



معالي أمير منطقة نجران فهد خالد السديري يتحدث لمندوب القافلة عن بعض مشاريع المنطقة.

قصيدة الشاعر الجاهلي «عبد يغوث بن وقاص الحارثي» وكان قد أسرته «التيم» في يوم من أيام العرب يعرف بيوم «الكلاب الثاني» ومطلعها: [1]

ألا لا تلوماني كفى اللوم ما بيا
فما لكما في اللوم نفع ولا ليا
ألم تعلما أن الملامة نفعها
قليل وما لومي أخي من شماليا
فيا راكبا أما عرضت فبلغن
نداماي من نجران الا تلاقيا

كما ورد ذكر «نجران» في «السيرة النبوية» بمناسبة وفود أهل نجران الى النبي، صلى الله عليه وسلم، ودخولهم في الاسلام قبيل وفاته.

أما ذكر «نجران» في الكتب الحديثة فقد كانت أول اشارة صريحة له قد كشف عنها النقاب المستشرق النمساوي «ادوارد جليسر» الذي قام بعدة رحلات علمية في الثمانينات من القرن التاسع عشر، عثر خلالها على نقوش من اطلال «صراوح» في أعلى سد مأرب، وتعود الوثيقة الآنفة الذكر الى عهد المكربيين السبئيين، أول الملوك الكهنة الذين يعود الفضل اليهم في ارساء دولة «سبأ» وبسط نفوذها وبناء سدود الجنوب التاريخية. فقد ورد في تلك النقوش اسم المكرب «سمح على ينوف» الذي حكم حوالي «٦٦٠ق.م»، وتشير الكتابة الى تعمير هذا المكرب لسد «رحب» للسيطرة على مياه السيول.. ولما تولى ابنه «بثع امربين» حوالي ٦٤٠ق.م أدخل تحسينات كبيرة على سد مأرب وانشأ فروعا جديدة.. ثم أخذ يوسع رقعة الدولة، فجرد حملات عسكرية كبيرة.

وتخبرنا هذه النقوش أن هذا المكرب قتل ٤٥ ألفا من أهل نجران، وأخذ ٦٢ ألفا من الأسرى، وغنم ٣١ الف رأس من الأبقار والأغنام. وذكر العدد هنا بالآلاف يدل على أن هذه المدينة، كانت متسعة العمران، رحبة الآفاق، عامرة بالأموال والرجال [2].

ويذكر الدكتور «جواد علي» في مؤلفه الكبير «المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام» هذا النص: «يذكر الأخباريون أن قوما من جرهم نزلوا بنجران، ثم غلبهم بنو حمير، وصاروا ولاة للتبابعة.. وكان كل ملك منهم يلقب بالأفعى، ومنهم أفعى نجران واسمه «القلمس بن عمرو بن همدان بن مالك» وكان كاهنا، وهو الذي حكم بين أولاد نزار، وكان واليا على «نجران» لبلقيس ملكة «سبأ»، وطال عمره وزعموا أنه ملك البحرين والمشلل».

وبعد الملوك الأفاعي، استولى على نجران «بنو مذحج» ثم بنو الحارث بن كعب،

---

(١) «نجران مدينة السياحة والتاريخ» أمين محمد عثمان.
(٢) المصدر السابق. ص. ٩ ـــ ١٠.

ثم انتهت رياستهم الى بني الديان، ثم الى بني عبد المدان وكان منهم «يزيد» على عهد رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وهم الذين ورد ذكرهم في الكثير من قصائد مدح الأعشى.

ويعتقد المؤرخون أن بني عبد المدان بن الديان هم الذين أسسوا كعبة نجران، التي حجتها العرب في الجاهلية أربعين عاما، وهي بيعة بناها «بنو عبد المدان» على غرار الكعبة المشرفة، وعظموها مضاهاة للبيت العتيق.. وكان لعظمها عندهم يسمونها «كعبة نجران»، وكانت على نهر بنجران. ويزعم المؤرخ البريطاني «عبدالله فيلبي» أنه اكتشف هذه الكعبة عندما زار المنطقة عام ١٩٣٦ وهي في أعلى جبل «تصلال» الذي يقع على بعد ٣٥ كيلومترا الى الشمال الشرقي من مدينة نجران. وقد استدل عليها من المطاف الذي رآه حول الجبل ومن صورة باهتة لصنم في أعلاه، وقد قمنا بزيارة لهذا الجبل لكنّا لم نعثر على ما وصفه هذا المؤرخ في كتابه «النجاد العربية»، وكل ما عثرنا عليه هو حوض شبه مربع وحوله أرض مستوية دائرية الشكل يبدو أن يد الانسان قد نحتتها فأصبحت بهذا الشكل وذلك لأن الجبل ذو تكوينات صخرية بارزة الا هذه البقعة، وقد ذكر الأعشى كعبة نجران بقوله:

وكعبة نجران حتم عليك
حتى تناخي بأبوابها
نزور يزيد وعبد المسيح
وقيسا هم خير أربابها
وشاهدنا الورد والياسمين
والمسمعات بقصابها
وبربطنا دائم معمل
فأي الثلاثة أزرى بها

أصحاب الأخدود ومدينة الأخدود

يزعم المؤرخ فيلبي أن مدينة «رقمات» التي ورد ذكرها في التاريخ القديم هي مدينة الأخدود وكانت عاصمة البلاد. وأصحاب الأخدود الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم، كانوا أهل هذه المدينة، وكانوا قد اعتنقوا النصرانية على يد مبشر يسميه المؤرخون الغربيون «فيميون» كان قد قدم الى نجران من شمال الصحراء العربية فلقيه رجل من أهل نجران يدعى «عبدالله بن ثامر» فلازمه وتعلق به، وأثر هذا الراهب في قوم ابن ثامر بشفائه الأمراض بالدعاء الى الله، فدخل كثير ممن شفوا وبرئوا الى دينه، وبذلك انتشرت النصرانية في نجران. وكان في اليمن آنذاك ملك يدعى ذا نؤاس «زرعة بن ثبان سعد»، ولقب بذلك لارساله ذوائب من شعره على ظهره وهو آخر ملوك التبابعة، وكان قد اعتنق اليهودية وتعصب لها تعصبا شديدا، فبلغه انتشار النصرانية في نجران فأغاظه ذلك فسار اليها بجند من حمير، ودعاهم الى نبذ الدين الجديد والعودة الى دينه فأبوا الا أن يتمسكوا بدينهم، فقام هذا الملك بحفر أخدود أضرم فيه النيران وألقى بهم فيه، ويذكر المؤرخون أنه قتل منهم عشرين ألفا وقيل مئة ألف. وجاء في بعض الأحاديث «ان امرأة كانت تحمل بين يديها طفلها الرضيع فلما عرضت على النار ترددت وتقاعست، فقال لها الطفل: يا أماه قعي ولا تقاعسي»..

وتقع أطلال مدينة الأخدود جنوبي نجران بين قرية «القابل» وجبال «السودا والحمر»، وهي عبارة عن قلعة كبيرة غطتها الرمال، ويبدو لزائرها أنها كانت ذات أسوار



حجر رحى كبير هو أحدى القطع الأثرية الباقية في أطلال مدينة الأخدود.



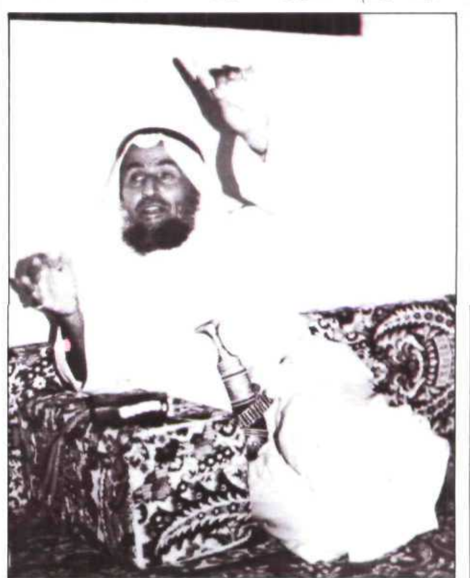
صورة حصان منقوشة على أحد أحجار مدينة الأخدود الأثرية.

عالية بنيت من أحجار كبيرة شبيهة بالأحجار التي بنيت منها الأهرام، ويصل طول بعض الأحجار الى عدة أمتار وهي أحجار صلدة ملساء يعتقد أنها نقلت من مكان آخر لأنها تختلف عن طبيعة الأحجار في جبال المنطقة. وعلى بعض تلك الأحجار نقوش ورسوم دقيقة الاتقان، وبين الأطلال بئر ثمانية الأضلاع تدل دلالة واضحة على التقدم الهندسي الذي بلغته تلك المدينة في تلك العصور السحيقة.

ومن المعالم الأخرى التي يشاهدها زائر هذه الأطلال حجر رحى ضخم قطره متران وارتفاعه متر تقريبا من حجر الجرانيت، وهو موجود قرب قرية تسمى قرية «ابن ثامر» نسبة الى عبدالله بن الثامر الذي كان حاكم المدينة واستشهد فيمن استشهد من أهل مدينة «رقمات».

وعبدالله بن ثامر هذا تدور حوله حكاية لا تخلو من الغرابة، وهو أنه في زمن الخليفة، عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، حفر رجل في أطلال الأخدود حفرة فوجد تحتها عبدالله بن ثامر قاعدا واضعا يده في صدغه، فاذا أخرت يده سالت دما ضربة في رأسه واذا أعيدت يده أمسكت دمها وفي يده خاتم مكتوب عليه «ربي الله» فكتبوا لعمر بشأنه فأجابهم الخليفة «أن أقروه على حاله، وردوا عليه الدفن الذي كان عليه»...

وقد كانت حادثة الأخدود تلك سببا لغزو الروم للجزيرة العربية، اذ يقال أن رجلا



الشيخ شرفي جابر ابو ساق يتحدث للقافلة عن بعض تاريخ المنطقة.

من أهل نجران يسمى «دوس بن ثعلبان» نجا من تلك المذبحة الرهيبة فقصد قيصر الروم واستجار به فما كان من قيصر الروم الا أن أوعز الى «النجاشي» واليه على الحبشة بغزو الجزيرة العربية، فجهز النجاشي جيشا قوامه سبعون ألف مقاتل بقيادة «أرباط» و«أبرهة الأشرم» الذي أقام في اليمن بعد احتلالها كعبة سماها «القليس» دعا الناس الى الحج اليها وقرر هدم الكعبة المشرفة بمكة، وبذلك سقطت دولة حمير في اليمن الى الأبد وعادت نجران الى نصرانيتها الى أن ظهر الاسلام وعم نوره الأرجاء.

رجالات نجران في التاريخ القديم

لمعت في نجران أسماء رجالات حفظها التاريخ، وعلى رأس هؤلاء الرجال «قس بن ساعدة الأيادي» الملقب بـ«أسقف نجران» الذي كان حكيم العرب وكان من مجموعة أهل التوحيد مقرا بالبعث، وقد توفي تقريبا، في الوقت الذي بدأ فيه نزول الوحي على النبي محمد، صلى الله عليه وسلم.

ولقد لعب هذا الرجل في الفترة التي سبقت ظهور الاسلام، دورا كبيرا بالنسبة للدين المسيحي بنجران، اذ كانت في ذلك الوقت من أهم المناطق التي تدين بالنصرانية في الجزيرة العربية وقد ضرب بقس المثل في الحكمة فقال عنه الأعشى:

وأحكم من قس وأجرى من الذي
بذي الفيل من غسان أصبح حادرا

وقد ورد في «مختصر سيرة الرسول» للشيخ عبدالله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب: أنه قدم وفد من أياد قبيلة قس الى النبي، صلى الله عليه وسلم، فسألهم عنه، فقالوا: هلك. فقال: رحمه الله، كأني أنظر اليه بسوق عكاظ على جمل له أحمر وهو يقول: «أيها الناس، اسمعوا وعوا. من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آت آت. أما بعد فان في السماء لخبرا، وان في الأرض لعبرا. بحر يفور، ونجوم تغور، وسقف مرفوع، ومهاد موضوع. أقسم قس بالله قسما: أن له دينا أرضى من دين أنتم عليه. ما بال الناس يذهبون ولا يرجعون؟ أرضوا بالمقام فأقاموا، أم



تركوا فناموا؟ سبيل مؤتلف، وعمل مختلف» واستطرد رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فقال: «وقال أبياتا لا أحفظها» فقام أبو بكر فقال: «أنا أحفظها يا رسول الله»، فقال:

في الذاهبين الأولين
من القرون لنا بصائر
لما رأيت مواردا
للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها
تمضي الأكابر والأصاغر
لا يرجع الماضي ولا
يبقى من الباقين غابر
أيقنت أني لا محالة
حيث صار القوم صائر

فقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: «رحم الله قسا. اني لأرجو أن يبعثه الله أمة واحدة».

ولما شع الاسلام بنوره أرسل رسول الله، صلى الله عليه وسلم، خالد بن الوليد الى نجران يدعو أهلها الى الدين الجديد فان استجابوا أقام فيهم، وعلمهم شرائع الاسلام، وان خالفوه

قاتلهم. فاستجاب اهل نجران لدعوة الحق بدون عناء، وعاد خالد الى المدينة ومعه وفد منهم جاءوا الى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، للمبايعة، وكان منهم (قيس بن الحصين، و زيد بن عبد المدان، ويزيد بن المجمل، وعبدالله بن قراد، وشداد بن عبدالله) [٣].

نجران جغرافيا

نجران منطقة شاسعة مترامية الأطراف تقع في الجنوب الغربي من المملكة وتحاد اليمن الشمالي والجنوبي، وأراضيها تمتد شمالا الى السليل ووادي الدواسر، ويحدها من الغرب ظهران الجنوب وبلاد عسير بينما تمتد شرقا لتشمل الربع الخالي بكامله، ويبلغ عدد سكانها حوالي ٣٠٠ ألف نسمة. ومدينة نجران التي تقع في وادي نجران هي العاصمة. وتشمل منطقة نجران وادي نجران ووادي حبونا وهما من أكبر وديان المملكة، وتتبع أمارة نجران امارات عدة أهمها شرورة وبدر الجنوب ويدمة وحبونا وعشرات القرى الأخرى في الواديين الكبيرين.



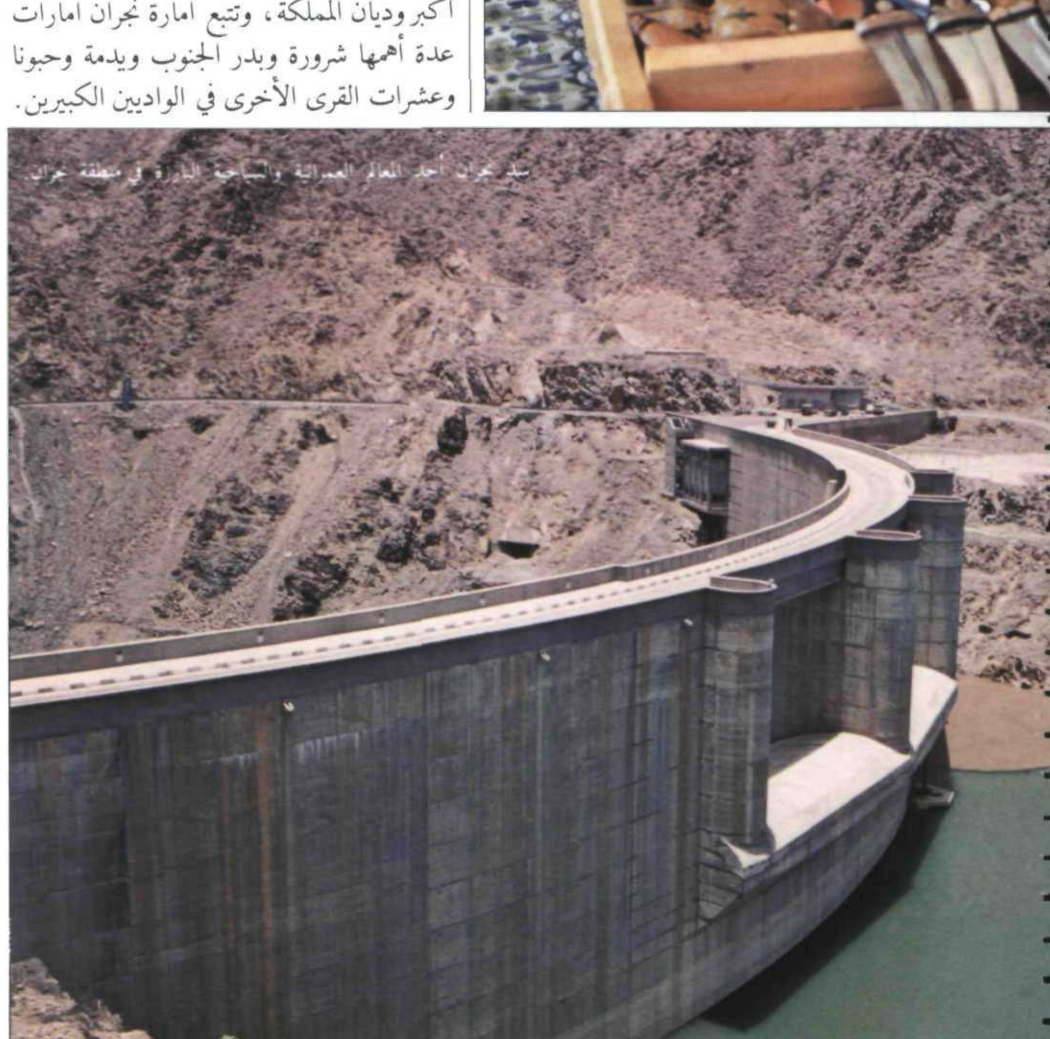
الجنبيات من الأشياء التي يتسابق على اقتنائها أهالي نجران وزائرو المنطقة.

ووادي نجران عبارة عن شريط سهلي منبسط من الأرض الرملية، يشقه الوادي نفسه، وتحده من الجنوب والشمال سلاسل شاهقة الارتفاع من الجبال الجرانيتية والبازلتية الداكنة، وينحدر الوادي من الغرب الى الشرق، وعن طريق تجمع المياه الآتية من روافده المنتشرة، والتي تأخذ مياهها من سفوح الجبال المتاخمة، فتنحدر بشدة متجهة الى مجرى الوادي الذي يأخذها بدوره الى رمال الربع الخالي شرقا» [٤]. وقد أقيم مؤخرا سد عند ملتقى فروع الوادي التي أهمها العرض ومرون، والغرض من اقامته هو تنظيم تدفق مياه الوادي الى السهول والقرى المجاورة، بالاضافة الى حمايتها من أخطار الفيضان الذي كان كثيرا ما يشكو منه أهل نجران في الماضي. وقد تم افتتاحه في ١٦ رجب ١٤٠٢ الموافق ٩ مايو ١٩٨٢ تحت رعاية صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبدالعزيز وزير الداخلية.

سد نجران

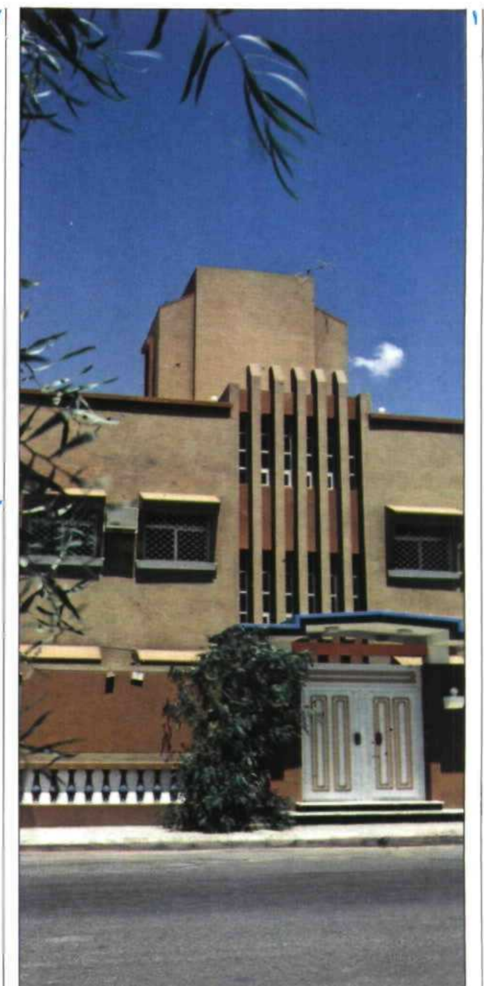
نبعت فكرة اقامة هذا السد أثناء زيارة المغفور له جلالة الملك خالد بن عبد العزيز لمنطقة نجران في ٢٠ شعبان ١٣٩٦هـ، حيث أمر جلالته بانشاء السد، وكان لمعالي المغفور له الأمير خالد السديري أمير نجران آنذاك دور فعال في ذلك. ويبلغ ارتفاع قمة السد عن الأساسات ٧٣ مترا، وطول قمته ٢٧٤ مترا، وحجم الخرسانة التي استخدمت في بنائه ١١٠٠٠ م٣، ويكون التخزين فيه على مستوى المفيض ٨٤ مليون م٣، وتصميم تصريف المفيض فيه ٨٣٠٠م٣/ث. ويعدّ سد وادي نجران انجازا عمرانيا يدل دلالة واضحة على سعي حكومتنا الرشيدة الحثيث لاعمار المملكة. فقد جنب هذا السد أهل نجران ويلات الدمار والخراب الذي كانت تجلبه سيول وادي نجران لهم في الماضي.

والسد من الوجهة السياحية منتجع جميل يقصده سكان وزائرو نجران للتمتع بالمناظر الطبيعية الخلابة على جانبيه، وقد شقت الدولة الأنفاق وعبدت الشوارع والطرق المؤدية الى السد لتشجيع الحركة السياحية فيه.



سد نجران أحد المعالم العمرانية والسياحية البارزة في منطقة نجران.

(٣) «نجران الحديثة»: سيد الماحي.
(٤) «نجران الحديثة»: سيد الماحي.







١ احدى الفلل الحديثة التي بدأت تنتشر في أحياء المدينة الفيصلية.

٢ مجسمات التجميل والمسطحات الخضراء من الأشياء التي تحرص بلدية نجران على نشرها في كافة أرجاء المنطقة.

٣ الاستاذ سليمان العبدالله السليمان مدير بلدية نجران يتحدث عن مشاريع البلدية.

نجـــران الحـــديثـــة

قامت «القافلة» بزيارة نجران قبل حوالي اثني عشر عاما فقال عنها زميلي، سليمان نصرالله، آنذاك «انها منطقة كانت تعيش حياة رتيبة تجتر أحداث ماضيها العريق الى أن امتدت اليها يد العمران والاصلاح، فهبت من سباتها لتشهد انبلاج صبح جديد من التطور، فحققت في غضون سنوات ما بدّل كثيرا من معالمها»، ولو قام زميلي بزيارة لنجران الحالية لأضاف لعبارته هذه الكثير الكثير، فنجران بعد اثني عشر عاما شهدت الكثير من التطور، فمدينة نجران أصبحت واحدة من كبريات المدن في المنطقة، حيث أن مدينة نجران القديمة «أبو السعود» عبدت شوارعها وجرى تنظيمها وتجميلها بالحدائق والمتنزهات العامة فاكتست حلة جديدة، والمدينة الفيصلية التي هي مدينة نجران الحديثة والتي تم تخطيطها عام ١٣٨٥هـ أصبحت الآن مدينة حديثة من الطراز الأول ترتفع فيها الفلل الحديثة التصميم، كما أقيمت فيها المباني الجديدة للدوائر الحكومية ومبنى الأمارة الجديد، وزينت معظم ساحاتها بالحدائق والمباني التجميلية التي أكسبتها بهاء ورونقا. كذلك خطط الى الشمال منها «حي الفهد النموذجي» للدخل المحدود، وقامت البلدية بتوزيعه على أهالي المنطقة ليقيموا عليه منازلهم. وقد اكتمل هذا الحي الآن وعبدت شوارعه وزينت بأعمدة الكهرباء وأقيم فيه عدد من المدارس والمرافق العامة.

النهضة الحديثة في نجران

ان العمائر بحداثة تنظيمها وروعة نمطها، مع الشوارع الفسيحة، والمدن الحديثة، بالاضافة الى مرافق الخدمات العامة، التي أصبحت نموذجا يحتذى به لدى الناس في نجران، من حيث المظهر النظيف، والمعاملات الدقيقة المنظمة، ناهيك عن الطبيعة التي امتدت اليها يد الانسان في نجران فطورتها ونظمتها، حتى صارت غاية في الجمال حباه الله بجميل الألوان وبديع الزخرف. كل هذه الصور الحديثة، التي جعلت من نجران واحة خضراء مفعمة بكل ألوان الحياة المنظمة الجميلة، لم تكن لتتحقق بسهولة ويسر دون أن يكون وراءها عزيمة صلبة، وعقل مدبر يحب العلم ويقدر العلماء ويتمنى أن يرى نجران وقد كسيت بأحدث ما أعطته الحضارة الحديثة من نظريات علمية جديدة (٥).

ففي لقاء مع معالي أمير المنطقة فهد خالد السديري أشار معاليه الى «أن نجران كانت منذ سنوات قليلة فقط في مؤخرة الركب، ولكنها وبفضل جهود شبابها المخلصين وما تلقاه من دعم من حكومتنا الرشيدة، استطاعت أن تشق طريقها نحو التقدم والازدهار».

المشاريع البلدية والقروية

بلدية منطقة نجران من البلديات النشطة في المملكة، وقد كانت في العام الماضي فقط من الفئة الثالثة (جـ) ثم ارتقت هذا العام الى الفئة (ب) ادراكا من المسؤولين في وزارة

(٥) «نجران الحديثة»: سيد الماحي.

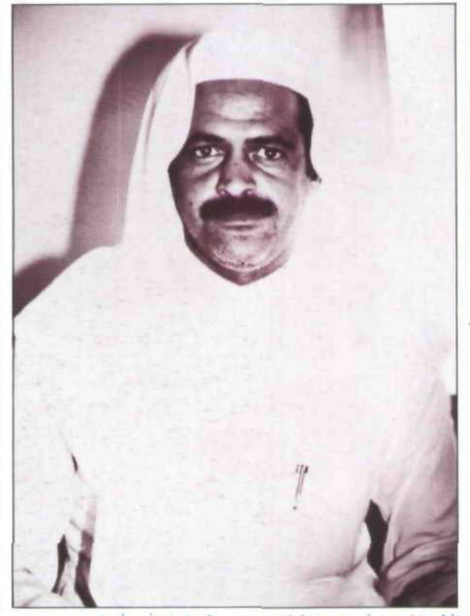
الشؤون البلدية والقروية لأهمية الدور الذي تضطلع به البلدية في منطقة تعتبر واحدة من أكبر مناطق المملكة. وهذه البلدية تسعى الآن جادة لتطوير منطقة نجران في مجالات عدة، فقد أعدت لذلك عدة مشاريع، تتمثل في نزع ملكية حوالي ٤٠٠ منزل في وسط مدينة نجران القديمة «أبو السعود» وذلك نظرا للكثافة السكانية في المدينة والاختناقات المرورية الناتجة عن ضيق الشوارع وقلة المواقف، وقد تم اقرار هذا المشروع ورفع للمقام السامي الكريم للموافقة عليه، وذلك للاستفادة من المساحات التي ستوفرها تلك المنازل في عمل بعض الحدائق العامة ومواقف السيارات والمشاريع البلدية الأخرى التي تعود بالنفع على المدينة وأهلها.

ومن المشاريع المستقبلية التي تعد لها البلدية هي اقامة طريق مزدوج من مفرق خميس مشيط الى طريق شلية بطول خمسة كيلومترات مع تنويره ورصفه، ذلك لأن مدخل نجران من جهة الخميس أصبح ضيقا ولا يواكب الاستخدام المتزايد له من قبل سكان المنطقة والقادمين اليها من المناطق الأخرى.

كما ستقوم البلدية بانارة وتشجير طريق مطار نجران المزدوج بطول ٢٥كم٢، كما ستقوم بغرس الورود على هذا الطريق لتجميل مدخل المدينة. ولدى بلدية نجران فكرة لاقامة متنزه عام على طريق سد نجران وعلى بعد ٢٠كم من المدينة، وهي تسعى الآن جاهدة لتوسيع خدماتها لتشمل القرى الكثيرة المنتشرة في ربوع المنطقة. كما تسعى البلدية الى انشاء المزيد من الحدائق والمتنزهات وملاعب الأطفال لتشمل كافة الأحياء، وقد استكملت في العامين الماضيين اقامة ١٠٠ ألف متر مسطح من الحدائق والمسطحات الخضراء في مدينة نجران وضواحيها. وقد أعدت مؤخرا الدراسات اللازمة لمشروع مياه ومجاري نجران بكلفة ٥٦٠ مليون ريال، ومن المتوقع أن يشمل هذا المشروع أكبر عدد ممكن من الأحياء والقرى المجاورة لمدينة نجران. ومن أجل توفير سكن مريح ومناسب للمواطنين من ذوي الدخل المحدود، فقد قامت البلدية بانشاء حي الفهد النموذجي وقامت بتوزيع ٢٥٠٠ قطعة أرض على المواطنين حيث قاموا ببنائها، وهي تزمع توزيع ١٥٠٠ قطعة أخرى الى الشمال من الحي المذكور.

الزراعة في نجران

تعتبر منطقة نجران واحدة من أكبر مناطق المملكة الزراعية، اذ أنها تصدر بعض ما تنتجه الى المناطق الأخرى، ففيها تنتشر غابات النخيل على مساحات واسعة من مدينة نجران والقرى المجاورة والقرى الأخرى في



الاستاذ مبارك محمد المطلقة مدير الزراعة في نجران يتحدث عن مشاريع المنطقة الزراعية.

تغطي مزارع الكروم مساحات واسعة من الأراضي الزراعية في منطقة نجران.



بعض الأشجار المثمرة في منطقة العريسة «عروس نجران».

المنطقة، والى جانب النخيل تنتشر الأشجار الأخرى المثمرة كالليمون والعنب والتفاح والمشمش والخوخ والكمثرى والموز والتين واللوز الهندي والزيتون والجوافا والرمان والكروم والبخارة واليوسفي والبرتقال والليمون الحامض. كما توجد بالاضافة الى ذلك مساحات شاسعة مزروعة بالذرة والبرسيم والبطيخ الأحمر «الحبحب» ومساحات أخرى مزروعة بالطماطم التي تزرع على مدار العام.

ومما لا شك فيه أن اعتدال المناخ ووفرة المياه قد ساعدتا على انتشار الزراعة واتساع البقعة الزراعية في المنطقة، فنجران تتمتع بأمطار موسمية تهطل في أشهر مارس وأبريل ومايو، كما تسقط في الخريف بنسب ضئيلة، وبعد اقامة سد نجران أمكن السيطرة على السيول المنحدرة من جبال اليمن والتي كانت في السابق تسير في الشعاب وتأخذ طريقها الى الربع الخالي.

ولدى مديرية الزراعة في نجران مشروعات عديدة من أجل تطوير الزراعة في المنطقة وتوسيع الرقعة الزراعية فيها بالاضافة الى الاهتمام بالثروة الحيوانية وتنميتها. وفي حديث مع سعادة الأستاذ مبارك محمد المطلقة، مدير الزراعة في نجران، أشار سعادته الى أن المديرية قد قامت مؤخرا باستصلاح عدد كبير من الأراضي البور وتوزيعها على أهالي المنطقة لزراعتها. كما تقوم المديرية بتنمية موارد المياه وذلك بالقيام بحفر آبار تجريبية للمزارعين، والقيام أيضا بحفر آبار أنبوبية للبدو الرحل للعمل على اجتذابهم للزراعة حيث تقوم وزارة الزراعة بمنح قطع من الأراضي لهؤلاء البدو لزراعتها. وتصل مساحة القطع الممنوحة الى حوالي ١٠٠ دونم «١٠٠ ألف متر مربع»، كما تقوم الوزارة ممثلة بالبنك الزراعي بتقديم الاعانات والقروض لهم لتشجيعهم على زراعة هذه الأراضي واستصلاحها حيث يقوم البنك بتزويدهم بالمضخات والبذور والمعدات الزراعية الأخرى. وقد حققت هذه التجربة نجاحا كبيرا في جذب البدو للاستقرار مما سيؤدي الى توسيع الرقعة الزراعية وتنمية الثروة الحيوانية التي يسهم البدو في تنميتها.



الاستاذ حمد محمد بودوحان مدير فرع البنك الزراعي يتحدث عن الخدمات التي يقدمها البنك لمزارعي المنطقة.

وقد أهّل المناخ المعتدل منطقة نجران لأن تكون منطقة منتجة لأجود أنواع الحمضيات حيث أن نتائج زراعـــة الحمضيات في المنطقة قد استرعت اهتمام خبراء منظمة الأغذية والزراعة الدولية، مما حدا بوزارة الزراعة الى اقامة أكبر محطة لأبحاث الحمضيات في المملكة. وقد أنيطت أعمالها بمنظمة «الفاو» الدولية تحت اشراف وزارة الزراعة.

ورغم أن المزارع في المنطقة قد توارث المهنة بأساليبها التقليدية القديمة فانه الآن بدأ يتجه الى التطور، حيث تسعى مديرية الزراعة والمياه في نجران الى نشر الوعي الزراعي بين مزارعي المنطقة عن طريق الوسائل الاعلامية المرئية والمكتوبة وعن طريق ارسال المرشدين الزراعيين الى قرى وهجر المنطقة للعمل على توعية المزارع وارشاده الى الأساليب التقنية الحديثة في الزراعة، وقد دخلت الآلة الآن حقل الزراعة في منطقة نجران بكل مراحله.

ويوجد في مبنى مديرية الزراعة والمياه في نجران جهاز «فيديوتيب» يقوم خلال ساعات الدوام الرسمي بعرض أفلام ارشادية وتثقيفية على مزارعي المنطقة، وقد أشاد سعادة مدير الزراعة والمياه في نجران بتفهم المزارعين، وأعرب عن تفاؤله بمستقبل زراعي متطور في المنطقة. وفي مجال الري، تعمل المديرية على مد شبكات المياه الى مدن وقرى المنطقة. فقد نفذ مؤخرا مشروع شبكة المياه العذبة النقية في وادي حبونا وهو الوادي الذي يأتي بعد وادي نجران من حيث الكثافة السكانية، كما تعمل المديرية الآن على تنفيذ شبكة أخرى في منطقة «الخضرا» التي تقع على الحدود الدولية مع اليمن الشمالي الشقيق واضعة في عين الاعتبار الزيادة المستقبلية في عدد السكان، بالاضافة الى تنفيذ مشروع شبكة مياه شرورة التي تقع في قلب صحراء الربع الخالي. وقد أنجز حتى الآن جزء كبير من هذا المشروع.

أما فيما يختص بالمشاريع المستقبلية وفي مجال المياه، فالمديرية عاكفة الآن على اعداد

مشروع شبكة مياه منطقة بدر الجنوب التي تعتبر من المناطق المهمة في نجران من الناحية السكانية والزراعية، وستقوم المديرية بطرح المناقصة لهذا المشروع قريبا. كما يجري الآن حفر آبار في قرى مدينة نجران تمهيدا لتمديد شبكات المياه.

البنك الزراعي في نجران

ودعما للزراعة والمزارعين في المنطقة قامت الدولة عام ١٣٨٦هـ بانشاء فرع للبنك الزراعي في منطقة نجران وقد أخذ هذا البنك على عاتقه تقديم القروض والاعانات لمزارعي المنطقة، وقد ذكر سعادة مدير البنك الأستاذ «حمد محمد بودوحان» أن القروض التي تقدّم للمزارع تسترجع في فترة زمنية مداها ١٠ سنوات، أما الاعانات فانها تشمل المكائن والمضخات وآلات الري وتكون نسبة الاعانة على هذه الآلات ٤٥٪، وتعطى القروض لتوفير مستلزمات الزراعة كتسوية الأرض، وتمهيدها، وشراء شتلات الفاكهة وفسائل النخيل وآلات مكافحة الآفات الزراعية وتكلفة تسوير الأرض وعمل البرك الاسمنتية. والبنك ينظر في الجدوى الاقتصادية من تقديم القرض، فعندما يتقدم مزارع بطلب الى البنك يقوم البنك بارسال مهندسيه لتحديد مستلزمات المزارع واحتياجاته التي يتم على ضوئها تحديد قيمة الأرض لكل مزارع، وقد استفاد من هذا البنك في العام الماضي ٢٨٠٠ مزارع، كما بلغ ما قدمه البنك للمزارعين في العام نفسه ١٤٨ مليون ريال كقروض، بينما بلغ مقدار الاعانات حوالي ٤٠ مليون ريال.

ومن المشاريع الرئيسية التي قام البنك بدعمها وتقديم القروض والاعانات لها، مشروع لتسمين الأغنام في منطقة بدر الجنوب، وعدد من مزارع الدواجن في المنطقة. ورغم ارتباط هذا الفرع بالبنك الزراعي بأبها فانه نشط في تقديم خدماته للمتقدمين من مزارعي المنطقة وأصحاب مشاريع الثروة الحيوانية.

الحركة التعليمية في نجران

ان تطور التعليم في منطقة نجران شيء يستحق الوقوف عنده والحديث عنه بشيء لا يخلو من الاسهاب نظرا لما حققه هذا المجال الحيوي من قفزات كبيرة في فترة قصيرة لا تتجاوز سنوات قليلة.



الاستاذ عبد العزيز أحمد العياضي مدير التعليم يتحدث عن النهضة التعليمية التي تشهدها المنطقة.

افتتحت أول مدرسة في نجران عام ١٣٦٢هـ وكانت تسمى «المدرسة الأميرية»، ثم أصبحت تدعى «المدرسة السعودية» بعد أن نقلت الى مبناها الحديث في أحياء نجران القديمة.

ولما كانت الدولة قد جعلت التعليم من الأولويات التي يعنى بها في كافة مناطق المملكة، فقد كان لنجران نصيب وافر من ذلك، حيث امتد التعليم في هذه المنطقة في السنوات العشر الأخيرة ليشمل كافة مدن المنطقة وقراها وبواديها وأصبحت مديرية التعليم في نجران الآن لا تواجه الا النمو الطبيعي في عدد السكان على حد قول سعادة الاستاذ عبد العزيز العياضي مدير التعليم في نجران، وقد أضاف سعادته: «ان التركيز الحالي قائم على تحسين التجهيزات المدرسية بانشاء المباني المدرسية النموذجية، وقد أصبحت المنطقة الآن ورشة عمل لهذا الغرض. كما تقوم المديرية بتجهيز المدارس بالوسائل التعليمية الحديثة، وذلك للاتجاه نحو التعليم التطبيقي وعدم الاقتصار على التعليم النظري التقليدي»، كما تسعى المديرية جاهدة الى نشر وسائل التثقيف والتعليم فقد أعدت لانشاء مكتبة عامة ومركز تثقيفي في منطقة شرورة، كما يجري الآن بناء أستاد رياضي، انطلاقا من مفهوم القول السائد «العقل السليم في الجسم السليم»، كما تقوم المديرية بانشاء وحدات صحية مدرسية في مدن وقرى المنطقة على مبان حكومية، وكل ذلك مصمم طبعا لخدمة المدارس. وقد بلغ عدد المدارس في المنطقة هذا العام ١٣٤ مدرسة يدرس فيها حوالي ٢٠ ألف طالب، وهذه القفزة التعليمية الكبيرة نابعة طبعا من ادراك الدولة لأهمية التعليم وسعيها لبناء الفرد السعودي المتعلم القادر على العطاء الفاعل على اعتبار ان ذلك هو الاستثمار الحقيقي لبلد كالمملكة.

والزائر لمنطقة نجران يلحظ بوضوح مظاهر النهضة التعليمية التي تشهدها المنطقة. فبالاضافة الى عدد المدارس السالف ذكرها هناك أعداد أخرى من مدارس البنات التي تخضع للرائاسة العامة لتعليم البنات اضافة الى وجود معهد علمي تابع لجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية، كما اكتمل الآن بناء مركز التدريب المهني في نجران الذي سيجري افتتاحه العام القادم وقد صمم هذا المركز ليواكب أحدث نظم التدريب من حيث توفر الوسائل والمعدات التي من شأنها تخريج أفواج قادرة على مواكبة النهضة الصناعية الحديثة التي تشهدها المملكة.

ويصف الشاعر «زاهر عواض الألمعي» الذي كان مديرا للمعهد العلمي بنجران النهضة التعليمية التي تشهدها هذه المنطقة بقوله:

«نجران» بات النور فيك يشعشع
والعلم يشرق والشذى يتضوع
«نجران» يا مهداً أناخ بسفحه
شم الأنوف وفي رباه ترعرعوا
«نجران» والتاريخ والقوم الألى
كم حدثوا.. كم مجّدوك فأبدعوا
واليوم انت على ذرا العهد الذي
أمسى مناراً في الجزيرة يسطع

ومما لا شك فيه أن هذه الأبيات تجسد شيئا من واقع النهضة التعليمية التي تشهدها نجران والتي ستكون مثالا يحتذى به في مناطق المملكة الأخرى.

الرعاية الصحية في نجران

تحظى الرعاية الصحية في نجران بأهمية بالغة من قبل القائمين على الشؤون الصحية في المنطقة، فمديرية الشؤون الصحية في نجران

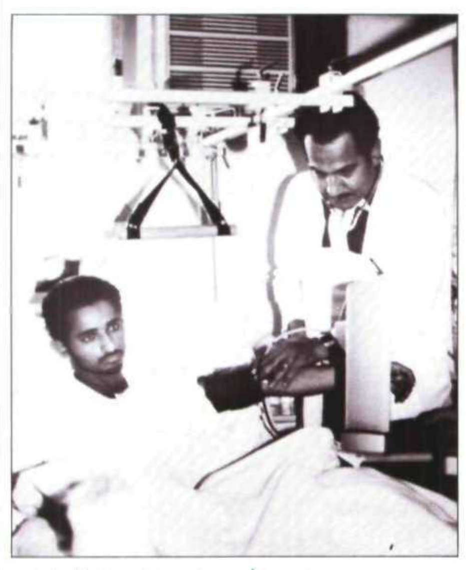


الأستاذ عبد العزيز عبدالله القطعي مدير الشؤون الصحية يحدث القافلة عن الخدمات الصحية في المنطقة.

تسعى جاهدة لتقديم الخدمات الصحية بنوعيها العلاجي والوقائي لسكان المنطقة. ففي نجران حاليا مستشفى عام بسعة مئة سرير ومستشفى آخر بسعة ١٦٩ سريرا. كما يجري الآن تجهيز مستشفى الملك خالد الجديد بسعة ٢٠٠ سرير، وهو مستشفى ضخم مجهز بأجهزة ومعدات طبية متطورة، بالاضافة الى العيادات الخارجية التي تستقبل عددا كبيرا من المراجعين وفيها كافة الأقسام المتخصصة لمختلف الأمراض. كما يجري حاليا انشاء مستشفى حديث بسعة خمسين سريرا في منطقة شرورة وسيتم تشغيله قريبا.

أما بالنسبة للمراكز الصحية فيوجد في منطقة نجران ٢٩ مركزا صحيا منتشرة في كافة أرجاء المنطقة وتؤدي خدماتها لسكان الهجر والبوادي، منها خمسة مراكز قريبة من المدينة. وقد تم تجهيز هذه المراكز بعدد كاف من الأطباء والممرضات والممرضين والقابلات لاستقبال حالات الولادة، وبكل ما تحتاجه من المعدات لاستقبال الحالات الطارئة والقيام بحملات التطعيم واصدار الوثائق الصحية الرسمية. وتقوم مديرية الصحة بنجران بنشر الثقافة الصحية بين المواطنين عن طريق هذه المراكز وذلك باقامة برامج التثقيف الصحي في المدارس والنوادي والأماكن العامة، كما تقوم بحملات التطعيم الدوري وحملات مكافحة الملاريا، وقد لاقت هذه الحملات تجاوبا ملحوظا من قبل المواطنين.

ولما كان المثل السائر يقول «درهم وقاية خير من قنطار علاج»، فقد أخذت هذه المديرية على عاتقها العمل بهذا المثل من ناحية تبني فكرة الطب الوقائي وذلك بمكافحة مصادر نشوء أمراض الملاريا والبلهارسيا عن طريق ردم المستنقعات ومكافحة مصادر البعوض والقيام برش المنازل والأسواق بمبيدات الحشرات. كما تقوم المديرية بفحص مصادر المياه ومتابعة حالات الاصابة التي تنتج عن طريق شرب المياه الملوثة وتتبع هذه الحالات بشكل مستمر تلافيا لوقوع حالات مماثلة في المستقبل.



تولي الدولة اهتماما كبيرا لتأمين الرعاية الصحية للمواطنين.

ويشيد الأستاذ عبدالله عبد العزيز القطعي، مدير الشؤون الصحية بنجران بتجاوب المواطن ووعيه لعلاج الكثير من حالات الاصابة، كما يؤكد على أن الوعي المتنامي قد أدى الى الاقلال من التعرض للاصابة بأمراض الملاريا والبلهارسيا التي كانت المراكز الصحية بنجران تقوم بعلاجها بأعداد كبيرة.

الحياة الاجتماعية في نجران

نجران كانت منذ القدم ولا تزال بلد الأصالة، فهي أصيلة في كل شيء، أصيلة في تراثها، أصيلة في عاداتها وتقاليدها، فالنجراني كريم الى حد المبالغة وهو بشوش الوجه سمح الجانب يرحب بالغريب ويكرم الضيف ويحسن وفادة القادم الى بلده، فالنجراني — مثلا — يبادئك بالدعوة الى ضيافته حتى قبل أن يرد عليك التحية، واذا ما قبلت هذه الدعوة فانك ستنبهر بمظاهر الكرم التي سيبديها للترحيب بك، فهو لا يكتفي، مثلا، باعداد وليمة كبيرة بل انه يحاول أن يشعرك «بأنه هو الضيف وأنت رب المنزل»، وعندما أقول أن الكرم عند النجراني يصل حد المبالغة فاني محق في ذلك وقد لمست ذلك بنفسي، فطوال الأيام العشرة التي أقمتها في نجران كنت وزميلي المصور موضوع جدال ونقاش شديدين بين أشخاص عدة حول من سيكون مضيفنا القادم وكل شخص كنا نستجيب لدعوته كان يحاول أن يكون أكرم من سابقه حتى اخجلتنا شدة كرم «النجارين» وصرنا لا نستجيب لأغلب الدعوات تلافيا للاحراج، فالضيف على مائدة النجراني يحار من أين يبدأ وأين ينتهي، فبالاضافة الى المائدة التقليدية التي غالبا ما تتكون — في أغلب مناطق المملكة — من الأرز واللحم «لحم الخراف التي تنحر على شرف الضيف»، فان النجراني يجتهد بأن يقدم لضيفه الأكلات النجرانية التقليدية التي تشتهر بها نجران ولعل اشهرها «الرقش» و«العريكة» و«الوفد» و«المعصوب» وهي أصناف من الأطعمة مؤلفة من الخبز المصنوع من البر الخالص يضاف اليه «المرق» والسمن البلدي. وهذه الأطعمة تقدم عادة في أوعية معدة خصيصا لهذا الغرض. ومن الأشياء التي تشتهر فيها منطقة نجران أيضا «المدهن» وهو اناء حجري يوضع فيه الرقش، و«القدح» اناء خشبي يوضع فيه المرق، و«المطرح» اناء مصنوع من خصف النخيل يوضع تحت المدهن ويغطى بغطاء مصنوع من نفس المادة يسمى «الغطا».

والاصالة في نجران لا تتمثل في عادات الوفادة والضيافة فقط بل هي تمتد أيضا الى كل ما يخص الحياة الاجتماعية، فالفنون في نجران — مثلا — أصيلة أصالة غيرها من نواحي الحياة، فأفراح نجران وأعيادها تشهد مزيجا من الفنون الشعبية النجرانية الأصيلة التي يفتخر بها أهل نجران ويتوارثونها أبا عن جد. في الأعياد والأعراس وحفلات الختان يستمتع زائر نجران



فنّا الزامل والرزفة من الفنون النجرانية الأصيلة.

بمشاهدة وسماع فن «الرزفة» وهي رقصة شعبية يؤديها شباب أهل نجران وشيبها في مثل هذه المناسبات، وهي رقصة قريبة من العرضة النجدية يتجاذب فيها الراقصون الأشعار، وغالبا ما يكون هناك شخصان أو أربعة أشخاص في وسط الراقصين يرقصون بسيوفهم أو جنبياتهم «خناجرهم» وهؤلاء يسمون «المسوعبين». ومن فنونهم الشعبية الأخرى «الزامل» الذي يقف فيه الراقصون على صفين متباعدين يقرب أحدهما من الآخر بالتدريج مرددا بعض الأشعار والأهازيج الشعبية الى أن يصل الصف الآخر فيقوم الواقفون في الصف الثاني بالترحيب بالقادمين ومن أقوالهم بالترحيب:

يا مرحبا وأهلين يا ضيفان
ترحيبة عد المطر
ترحيبة من خبرة ظفران
على العدو منهم خطر

وغالبا ما تكون الأشعار التي تردد في «الزامل» من نظم شعراء من أهل نجران، ومن أمثال ذلك قول الشاعر عبدالله بن صومان الحارثي:

يا لله يا علاّم غيب السراير
يا غافر الزلات رفع الجلال
يا رازق اللي بالجناحين طاير
ومسكنه في عاليات الجبال

ومنها أيضا قوله:

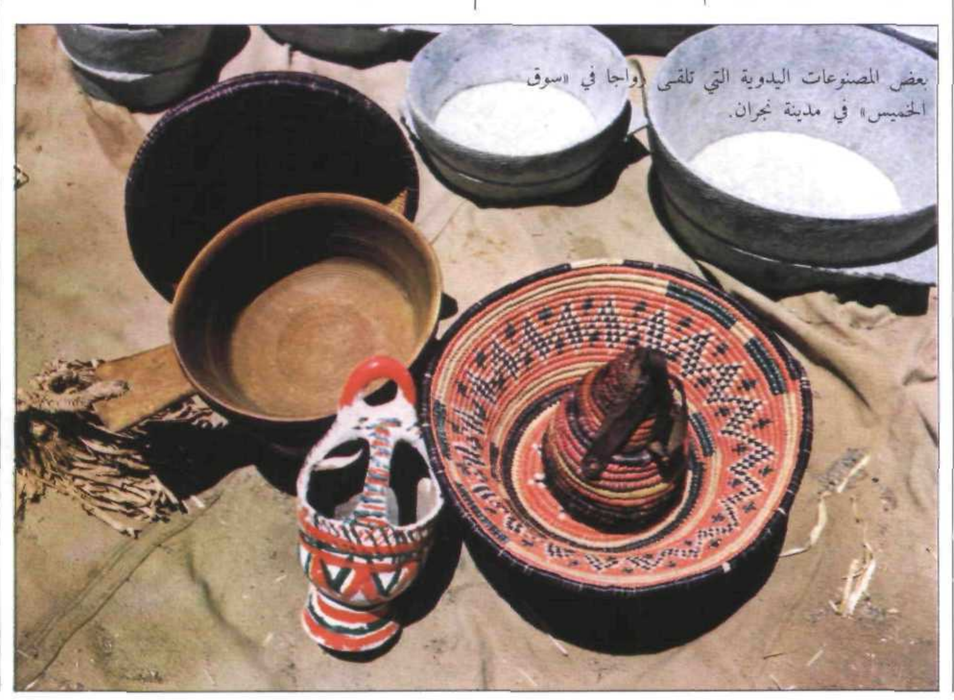
والمال يفنى ما تفيد الذخاير
ما ينفع الا طيبات الأعمال
من قلطوه بمقدرات الحفاير
أمسى من الدنيا ومن المال خالي
ومن زانت أعماله تجيه البشاير
يقول حظي عند ربي دعا لي

والتراث الشعري في نجران كثير جدا، ففيها شعراء نبطيون كثيرون وأغلبهم مجيد بشكل ملفت للنظر ومنهم الشاعر عبدالله بن صومان السالف الذكر والشاعر عبدالله بن صالح بن سكران الصقور وغيرهم كثيرون.

كما أن أصالة الفن المرئي لا تقل بأي حال من الأحوال في نجران عن أصالة الفنون المسموعة وخير شاهد على ذلك الطراز المعماري الجميل الذي تمتاز به بيوت نجران القديمة وقلاعها وقصورها والتي تعتبر معالم بارزة يلحظها زائر المنطقة منذ الوهلة الأولى، فالبيوت القديمة في نجران تبنى من الطين المخلوط بالتبن وتعتمد نظام الأدوار المتعددة التي قد يصل بعضها الى تسعة أدوار وخصوصا القلاع القديمة، وهناك النوع المتطور وهو النوع الذي لا يعدو الثلاثة طوابق ويكون مزينا من الأعلى بـ«الشراريف» وهي عبارة عن وحدة مثلثية متكررة على أطراف السطوح تفصل بين الواحدة والأخرى منها مسافة قليلة، كما يزين بعضها «الصروف» الذي ينحت على أطراف الحوائط من الأعلى على شكل مستطيلات متجاورة، وهناك زخارف أخرى تجميلية في بعض البيوت أمثال (الزنبقة والنورة وشعرة المدماك) وهي جميعا أنماط زخرفية جميلة، وغالبا ما يطلى الجزء العلوي من البيت باللون الأبيض «النورة» فيعطي شكلا جماليا متميزا.

سوق الخميس في نجران

سوق نجران من الأسواق القديمة، فقد ذكره الهمداني المتوفي سنة «٣٣٤هـ» في كتابه «صفة جزيرة العرب». «وقد كانت (نجران) تحتل مركزا مرموقا على طريق التوابل الذي يبدأ



بعض المصنوعات اليدوية التي تلقى رواجا في «سوق الخميس» في مدينة نجران.

من حضرموت ويمر بمأرب ويقف بنجران ثم يتفرع منها الى فرعين: أحدهما يتجه الى «اليمامة» والآخر يتجه الى «مكة المكرمة» و«يثرب» و«ديدان العلا» في وادي القرى والبتراء، حيث يتفرع الى طرق عديدة تتجه الى «غزة» والحيرة ودمشق وبصرى»[٦]. وفي «سوق نجران» قال اعرابي:

ان تكونوا قد غبتم وحضرنا
ونزلنا أرضا بها الأسواق
واضعا في سراة نجران رحلي
ناعما غير أنني مشتاق

وسوق نجران اليوم دائبة الحركة تزخر بأنواع البضائع والسلع التي يقبل على شرائها أهالي نجران والمناطق المجاورة وأبناء اليمن الشقيق الذين يقصدون نجران للتبضع. وسوق الخميس في نجران سوق تتصف بصفة التخصص، فهناك قسم للأواني المنزلية، وآخر للملابس وأدوات الزينة، وثالث للخيام ومتطلبات السفر، ورابع للحبوب والتمور والمواد الغذائية. وزائر سوق الخميس يلاحظ حركة دائبة فالسوق كأنها خلية نحل فالناس تروح وتغدو تشتري وتمتار ولا تخف الحركة الا عند صلاة الظهر، حيث تهدأ السوق ثم تعاود الحركة بعد صلاة العصر.

وقرب سوق الخميس توجد جمعية نجران التعاونية في مدينة نجران القديمة «أبو السعود»، وهي جمعية مساهمة طرحت أسهمها للأهالي حيث توفر لهم معظم ما يحتاجون اليه من المواد التموينية بأسعار معتدلة.

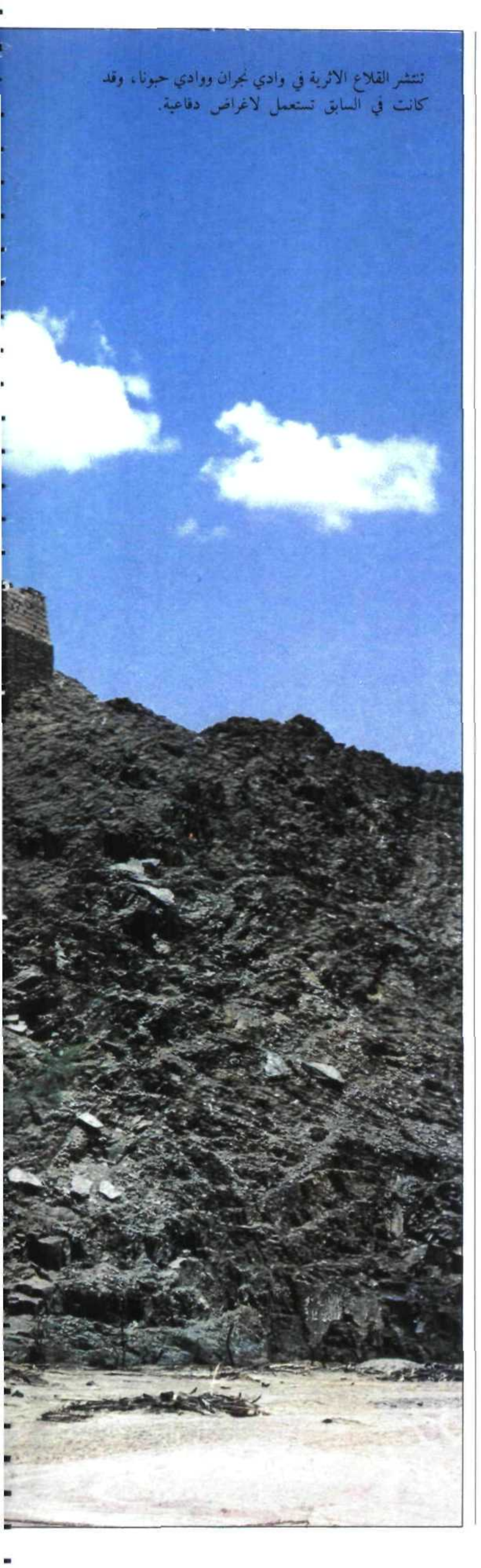
ونجران مشهورة بصناعتها التقليدية اليدوية التي يجدها الزائر في سوق الخميس فهناك السلال والحصر المصنوعة من سعف النخيل، وهناك المطارح والأغطية التي تصنع من خصف النخيل بالاضافة الى المداهن وهي الأواني الحجرية المصنوعة من الحجر الصلد والأقداح المصنوعة من أخشاب الأبانوس وغيره. كما يشاهد الزائر أدوات زينة المرأة التقليدية المصنوعة من الفضة كالدنصات والحروز والكواكب واللوازم وعصابات الرأس واللبات وغيرها. وفي جانب من جوانب السوق تباع «الجنبيات» وهي خناجر معقوفة يلبسها أهل نجران شيبا وشبانا، ويتفاخرون في اقتناء أجود أنواعها وهي عادة تأتي الى المنطقة من حضرموت واليمن.

وجه من نجران

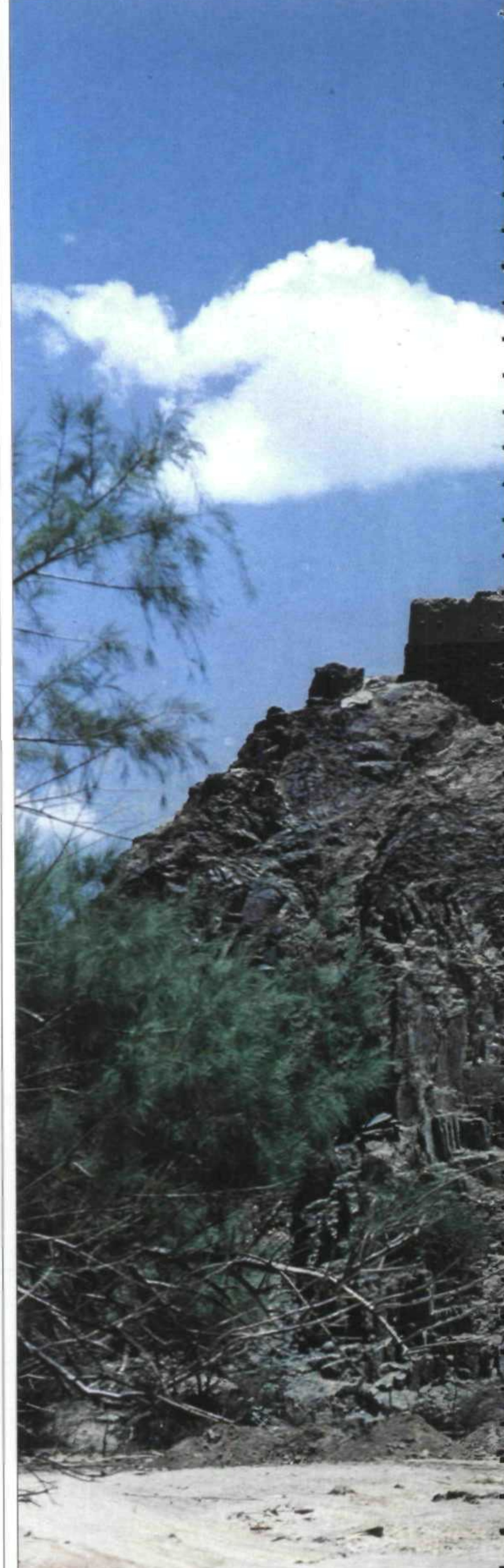
ينتمي معظم سكان منطقة نجران الى قبيلة «يام» احدى القبائل العربية المشهورة التي لها مواقف تاريخية مشرفة، وتتفرع الى ثلاثة فروع هي: آل فاطمة وشيخهم شرفي ابن جابر أبو ساق، وآل جشم وشيخهم حمد بن أحسن ابن منيف.وآل مواجد وشيخهم جابر بن حسين ابن نصيب. وخلال وجودنا في منطقة نجران التقينا بالشيخ شرفي ابن جابر أبو ساق بصفته أحد وجهاء وأعيان المنطقة، وقد حدثنا الشيخ أبو ساق بايجاز عن تاريخ نجران الحديث.

الرحلة الى وادي حبونا

كنا طوال مدة بقائنا في نجران نسمع عن وادي حبونا، وهو الوادي التابع اداريا لمنطقة نجران التي تضم واديين كبيرين هما: وادي نجران ووادي حبونا، وقد سمعنا عن أهمية هذا الوادي وعن كثافته السكانية وعن جمال الطبيعة فيه، فقررنا التوجه اليه حيث يبعد عن وادي نجران مسافة ٣٥ كيلومترا. وانطلقت بنا السيارة عبر طريق مسفلت متعرج يمر فوق جبال بازلتية صلبة سالكين الطريق المؤدية الى ظهران الجنوب، وبعد سير على الطريق المعبد لمسافة ١٥ كيلومترا مرورا بـ«شلية» و«قافية الرغام» و«وادي أبي الجعل» و«ذي حباب» و«أبيار عسكر» انحرف بنا سائق السيارة فجأة الى طريق صخرية مبتعدا عن الطريق المعبد، وكنت أظنه قد قصد ذلك لغاية ما، فسألته أين أنت ذاهب يا أبا محمد؟ فأجابني الى «حبونا»، فتملكتني الدهشة وأنا أرى السيارة وكأنها تقفز بنا قفزا من شدة وعورة الطريق، واستمرت بنا الحال كذلك ونحن نسير عبر طريق صخرية جبلية لم أشاهد طوال حياتي وعورة كوعورتها. وظللنا نتسلق جبالا صخرية شاهقة عبر طريق ضيقة ولمسافة عشرين كيلومترا بين صعود وهبوط ثم استقر بنا المطاف بين ثنايا «وادي كتنة» وواصلنا المسير لنأخذ استراحة قصيرة


تنتشر القلاع الاثرية في وادي نجران ووادي حبونا، وقد كانت في السابق تستعمل لاغراض دفاعية.

(٦) «نجران مدينة السياحة والتاريخ»: أمين محمد عثمان ص/ ٤٦.



قرب قرية «النقعا» التي هي أول قرية تواجه القادم من نجران الى «حبونا»، وهناك تفيأنا ظلال شجرة لنحتسي القهوة «القشر» وهي القهوة النجرانية المشهورة التي كان قد أعدها لنا سائقنا ودليلنا في الرحلة السيد منصور محمد الصقور، ثم واصلنا المسير بين ثنايا وادي حبونا مرورا «بالنقعا» وقرية «بني هميم» وقرية «الخضرة» وهذه جميعا قرى صغيرة تضم عددا من البيوت الطينية الأثرية، وتحيط بها بساتين النخيل والأشجار المثمرة. ثم انتهى بنا المطاف في «أمارة حبونا».

ووادي حبونا هو واد كبير ينتج عن تجمع عدد من الشعاب التي تنحدر من جبال اليمن لتكوّن هذا الوادي الذي يسيل في موسم سقوط الأمطار على شكل نهر صغير يغذي بساتين ومزروعات القرى المنتشرة على سفحيه، وأهمها القرى السالفة الذكر وقرى أخرى أهمها: «قابل منيف» و«الهويد» و«جمال حتروش» و«المجمع».

انه واد جميل حقا وهو اذا ما امتدت اليه يد الاعمار يعتبر منطقة سياحية جميلة حيث يمتع السائح ناظريه بتلك القمم الشامخة التي تمتد على جانبي الوادي، وبالماء الجاري العذب الزلال الذي يغطي رمال الوادي، وبالقرى الزراعية العديدة والقلاع الأثرية المنتصبة على قمم الجبال. وفي وادي حبونا مكان يسمى «مطمر مهدي» تدور حوله حكاية طريفة وهي: أن الشاب «مهدي» كان يسير باتجاه بلدته حاملا بعض السلع والهدايا لأمه فاعترضته جماعة حاولوا نهب ما معه، ففر منهم وارتقى صخرة عالية، فلما حاصروه قفز عبر الوادي الذي كانت تسيل مياهه بغزارة واستطاع بقفزة واحدة أن يجتاز الوادي، فاستغرب أولئك الرجال من قوة وشجاعة هذا الشاب، فأعطوه الأمان على أن يخبرهم عن طعامه الذي منحه هذه القوة، فأجابهم بأنه يأكل الأسمرين أي البر والسمن. وهو طعام شائع في نجران تتكون منه معظم الوجبات النجرانية الرئيسية.

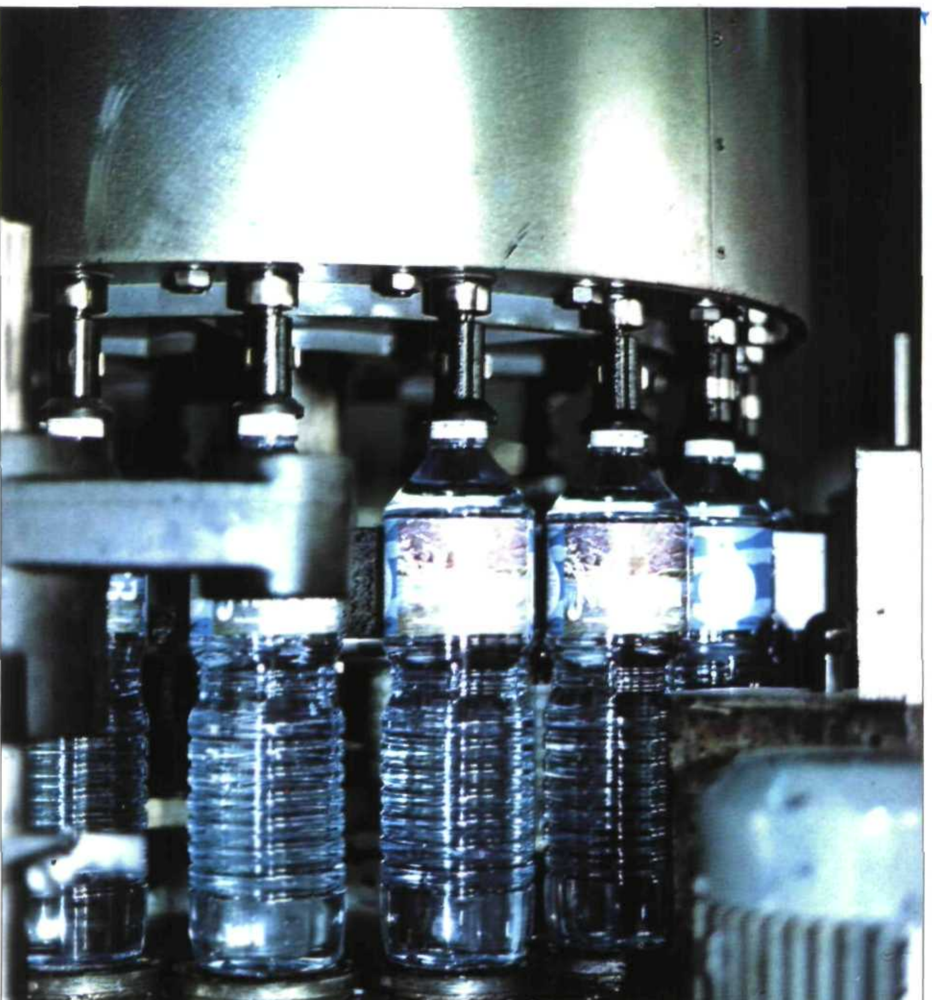
نجران منطقة سياحية

تتوفر في نجران — تقريبا — كل مقومات السياحة فهذه المنطقة تجمع الى جمال الطبيعة طيبة أهلها وكرمهم، في نجران يستطيع السائح أن يمتع ناظريه بتلك الجبال الصخرية السوداء الجميلة التي تعتبر مجالا جيدا لممارسة رياضة تسلق الجبال بالاضافة الى ما تضمه بين جنباتها من قرى زراعية جميلة يستطيع المرء أن يقطف ثمر أشجارها الخضر اليانعة التي تحمل أغصانها ما لذ وطاب من ثمر وأعناب. ويسعى المسؤولون في منطقة نجران جاهدين الى ادخال مقومات السياحة الحديثة الى المنطقة، فبعد اكمال انشاء سد نجران أصبح زائر نجران قادرا على أن يمتع ناظريه بذلك المنظر الجميل الذي يمثله هذا السد العملاق والمياه التي يحتجزها وراءه مشكلا بحيرة زرقاء غاية في الجمال.



شقت الدولة الأنفاق وعبدت الطرق لتيسير التنقل وتشجيع السياحة في منطقة نجران.





١ - الشاعر عبدالله بن صوmان الحارثي يتحدث لكاتب السطور عن بعض تراث المنطقة الفني والشعري.

٢ - مصنع نجران للمياه الصحية أحد معالم نهضة المنطقة الصناعية.

تصوير: محمد صالح الشيبب

والى جانب جمال طبيعة المنطقة فنجران منطقة أثرية تضم بين جنباتها آثار العديد من الحقب التاريخية المختلفة. فآثار مدينة الأخدود جديرة بالزيارة بل وبالوقوف والتأمل لادراك روعة الحضارة التي كانت قائمة في تلك المدينة منذ آلاف السنين. بالاضافة الى ذلك، هنالك العديد من القلاع والحصون الأثرية التي تقف شاهدة على ما كانت تشهده منطقة نجران من حروب ومواقع في مختلف العصور التاريخية. فحتى بين صخور جبالها السود، يكتشف المهتمون بالآثار بين فترة وأخرى العديد من الآثار والرسوم التي تمثل تعاقب حضارات عدة كانت قائمة في هذه المنطقة.

ولعل من المفيد أن نفرد بعض السطور للحديث عن منطقة العريسة التي يسميها الكتاب وزائر المنطقة «عروس نجران» والتي فيها يقول الشاعر «أحمد البدري»:

وروضة زرتها والصحب في مرح
ترى الجمال بها يزداد احسانا
مكثت فيها أصيلا فوق عسجدها
والزرع ينعشنا تينا ورمانا
والزهر أحمره يرنو لأبيضه
في حب أصفره قد بات نشوانا
والورد يحرسه لون الشفاه كما
في عسكر تحرس الأجناد سلطانا

والشاعر محق فيما قال، فالعريسة بحق جنينة خضراء يرى فيها الناظر أصناف الورود ومتنوع الأشجار والثمار. ففي بستان معالي الأمير فهد السديري في العريسة مثلا، يحار المرء من أين يبدأ وأين ينتهي لجمال ما يراه. فالتين والرمان والليمون والنارنج والأعناب وأصناف الورود تغطي مساحات شاسعة من الأرض، وكأن زائرها يسير على بقعة خضراء لا يدركها امتداد البصر، وحول ذلك البستان بساتين أخرى عديدة ومزارع كبيرة للخضار والفاكهة تصل مساحة بعضها عدة كيلومترات مربعة، واذكر منها مثلا مزرعة داود بن صالح بن نيفان في حايرة السلم والتي زرعت جميعها بـ«الحبحب» والتي تغطي مساحة من الأرض تبلغ ستة كيلومترات مربعة.

وهنا وبعد أن وصلنا الى نهاية المطاف فان كان هناك كلمة نقولها فهي: ان الحديث لا ينتهي والكلمات قد تعجز عن وصف كل ما يراه المرء وسيظل كل ما كتب وقيل عن نجران قاصرا من أن يفيها حقها، فهي منطقة لا يحوى أشتاتها سفر واحد ولا أسفار عدة، وستظل نجران كما كانت ولا تزال «عروس الجنوب» □

غصن على الرمال

شعر: شريف قاسم / نجران

يتثنى بعوده المخضَّر ... فوق كف اللظى بوهدة حر
وترانيم ثغره سبحات ... يتسامى معراجها بالطهر
دحرجته الرياح خلف وهاد ... رضّعتها يد السنين بجمر
وسقتها السموم كل أصيل ... ساقيات من الأسى والضر
فنما بين لفحة من شقاء ... واخضرار من المنى والبر
يا له من مطرّز باللآلىء ... في بساتين ربعه والدر
آه ما أبعد الدروب وأقصى ... دانيات القطوف في ليل خسر
قد مشاها والصبر فيه مكين ... مشي غاد بدربها مضطر
وتمر الأيام تملى بعمر ... بين وادي الدجى.. ولمحة بدر
جلّنار الربيع طيف أماقيه ... وتغريد روحه كالطير
فوق أرواح عالم بات يطوى ... في صحاريه كل عطر وزهر
وديار نأت مسالكها اليوم ... وغامت بجرحها المستشرى
يرشف القطر من سحاب أمانيه ... ويحنو على مداه بخير
ونما رغم جدب دنيا ترامت ... وهو في الأرض بين كر وفر
سلسل الدفء ملء ردنيه ... والشوق فيوض يجيش عبر الصدر
والظلال السخية الخضر تهمي ... من وريقات طهرها بالعطر
عاش يحسو الأمان من أفق الغيب ... ويروى فؤاده من صبر
ويلم الألحان من بحرها الثرّ ... وتشدو أوتاره بالفخر
وحواليه من رفيف صنوج ... نغمات منسوجة من شعر
كان في الشاطىء الندي يناجي ... حامل المزهر الحزين الأمرّ
وأفاض الدموع والشجن المرّ ... بقيثارة الكئيب الأبرّ
وتولى يطوف في الأرض همّا ... خلف يسر من الزمان وعسر
حيث ترنو عيونه من بعيد ... لانبلاج الهنا القريب بفجر

اللسانية العربية

بقلم: د. منذر عياشي / فرنسا

لقد لخص «ستينر» في بضع كلمات فكر الشاعر والعالم «غوته» وأبرز الأساس النظري الذي قام عليه بحثه العلمي فقال:

«ان عين الجسد تقود الى رؤية العالم المحسوس والمادي، وان عين الروح تقود الى ادراك ظواهر الضمير الانساني، وملاحظة عالم الفكر والشعور والارادة. وان العلاقة بين عين الروح وعين المادة تمنح الموهبة لمعرفة العالم العضوي المكون من طبيعة محسوسة وغير محسوسة، والموجود على منتصف الطريق بين المادة البحتة والروح البحتة» (١)

اذا يسر لنا أن ننفذ الى صلب العوائق التي تقف أمام البحث العلمي في العالم العربي لنتعرف الى طبيعتها، فسنجد أنها تكمن بين شيئين: بين شكل المادة المدروسة ومضمونها، أو بين سطح الموضوع المادي وقوانينه الضمنية. وبصورة تمثيلية بين ما سماه «ستينر» «عين الجسد» و«عين الروح». ومن هنا فان المتأمل في اللسانية العربية المعاصرة — والتي لا تزال في خطاها الأولى — يدرك أنها تتعثر لانها حرمت نفسها — وذلك خلافا لما كان عليه البحث العلمي عند العرب قديما — هذه المنهجية كأداة من أدوات البحث والتفكير. واذا أردنا أن نعد المشكلات التي نتجت عن هذا فيمكننا أن نحصرها في ثلاث:

* لقد وجدت اللسانية العربية نفسها تبعا لعدد كبير من النظريات، والمناهج، والمدارس الغربية المختلفة والمتناقضة فيما بينها وذلك لأنها لا تملك نظرية خاصة بها ومستوحاة من الحضارة التي تريد أن تنطق باسمها وتقوم عليها.

* ان حذف العنصر الحضاري من ساحة البحث العلمي أدى باللسانية العربية الحديثة الى مواجهة مشكلة الاختيار الصعب بين العربية الفصحى والعامية. وبمعنى آخر، ان حذف العنصر الحضاري أدى الى انقسام وعر في ذهنية الباحث العربي بعد أن كانت تركيبية عند السلف، فانطلق من هذا الوضع الذهني — غير الطبيعي — الى اقامة تصانيف لغوية خاطئة، وذلك على غرار ما فعله الغربيون، وانعكس في تصانيفه ما انعكس في تصانيفهم من انقسام وتشتت ذهني. ونستدل على ذلك بتصنيفه اللغة الى صنفين: العربية الفصحى، والعربية العامية. ولقد وقف بعد ذلك حائرا، أيختار الصنف الأول، أم يختار الصنف الثاني.

* ان غياب العنصر الحضاري، أدى أخيرا، الى ميلاد مشكلة ثالثة أقل خطورة من المشكلتين الآنفتي الذكر، ولكن لها أهميتها العلمية، وهي مشكلة المصطلحات اللسانية. وهذا ما سنناقشه في هذا المقام.

النظريات . المناهج . المدارس

يقول ابن خلدون:

* اعلم أن مما أضر بالناس في تحصيل العلم والوقوف على غاياته كثرة التأليف واختلاف الاصطلاحات في التعاليم وتعدد طرقها ثم مطالبة المتعلم والتلميذ باستحضار ذلك» (٢).

ان الكتلة الهائلة من النظريات، والأنواع المختلفة من المناهج، والمدارس اللسانية التي تفوق الحصر تشكل مظهرا من مظاهر العصر الحالي، والذي يفترق عن غيره بالتكاثر، أو حسب المصطلح الاقتصادي بالتضخم. لذا، فان الباحث اليوم يجد نفسه أمام جبل شاهق من الأعداد تفترق عما كان يسميه القدماء بـ«المعرفة». وهذه الظاهرة سمة من سمات العصر الذي نحن فيه وتنطبق على كل ميادين العلم. ولقد أصبحت هذه الظاهرة عبئا على البحث العلمي نفسه، يتعثر بها ولا يقدر أن يتخطاها بيسر وسهولة. فالدارس يرى في كل يوم سقوط شلال من الكتب «اطروحات جامعية، نظريات، مناهج، الى آخره» ولا يكف عن الاتساع بحيث يقف أمامه حائرا لا يدري ما يختار منه وما ينتقي، ما يأخذ وما يدع، ما يتبع وما يهمل. وهذا الوضع، بالطبع، يتطلب من الباحث أن يضاعف

وعوائق البحث

جهده لا نوعيا فقط، ولكن كميا أيضا، وهو مدعو أن يسير وفق خطين متلازمين:

* عليه أن يملك منهجا ملائما للقراءة والاطلاع وتثقيف الذات يساعده على صعود جبل الكتب الشاهق.

* وعليه، ثانيا، أن يملك منهجا دقيقا لكتابة وتسجيل المعلومات.

ولقد شعر عدد من علماء اللسانية بالحاجة الماسة الى منهجية يستعين بها العالم والمتعلم على السواء فذهبوا يعدون العدة لذلك. وقد ذهب بعضهم في طريق أكثر جدية، بمعنى أن عددا منهم اجتمعوا على ضرورة القيام بغربلة وتصفية، ونقد ومراجعة، واعداد وتنظيم هذا العدد الهائل من الأعمال والأبحاث.

المصطلحات اللسانية

ان الباحث العربي مضطر الى أن يواجه مشكلات عديدة نظرا لحداثة البحث وقلة الدراسات في هذا الميدان. ومن بين هذه المشاكل التي تقف أمامه كعقبة كأداء، نجد المصطلحات الغربية ومشكلة نقلها الى اللغة العربية.

اننا نعلم أن اللسانية الحديثة منذ «سوسير» قد تطورت تطورا كبيرا. ولقد أدى هذا التطور الى ميلاد مفاهيم لغوية ومصطلحات تعبر عنها، جديدة ولا مقابل لها في اللغة العربية، وعلى وجه الدقة لا وجود لها في ذهنية ورؤية الباحثين العرب التقليديين. ولحل هذه القضية اتجه بعض من اجتهد في هذا الأمر الى سلوك أحدى سبيلين:

* اما الى ترجمة مصطلح غربي حديث بمصطلح عربي قديم.

* واما الى نقل المصطلح الغربي نقلا حرفيا يتلبس فيه على القارىء.

أما عن السبيل الأول فيمكننا أن نقول: أن ترجمة المصطلح العربي الحديث بمصطلح عربي قديم يعرضنا الى بعض المخاطر، نذكر منها:

— قد لا يكون المصطلح العربي قادرا بما فيه الكفاية على نقل أو استيعاب مقاصد المصطلح الغربي، وليس ذلك لضعف فيه ولكن لأننا قد نحمّله ما لا يحتمل.

— وقد تعرضنا هذه العملية أيضا الى أخطار أخرى لا تقل فداحة عن الأولى، وذلك لأن المصطلح العربي انما وضع لأداء معنى معين، واستعمالنا له على هذا الوجه — أي كمعادل للمصطلح الغربي — ربما يعرضه الى الخروج عن معناه الأصلي الذي وجد له الى معنى آخر، وكذلك الى اضاعة معناه الحقيقي في ذهن القارىء. وقد يترتب على هذا قطع الصلة بين الدارس وبين التراث، أو سوء فهم للتراث.

لقد أشرنا في الفقرة السابقةالى كثرة النظريات والمناهج والمدارس. ونريد أن نقول هنا أن المصطلحات الغربية ترتبط بهذا كله، أي أن نقلها الى العربية مرتبط بمعرفة الباحث المسبقة لكل ألوان النشاط الذهني الذي صدرت عنه هذه النظريات والمدارس والمناهج.

وبالاضافة الى ما أشرنا نستطيع أن نقول بأن المصطلح الغربي الواحد قد يستعمل استعمالات عدة. فهو عند أصحاب هذه النظرية يعني شيئا، وعند أصحاب تلك يعني شيئا آخر.

ان هناك من المصطلحات الغربية ما يعتبر كمسميات لنظريات قائمة بذاتها. ولا يمكن نقل هذه الى العربية أو فهمها ما لم تنقل معها النظرية بكاملها.

لذلك فاننا نرى أنه من الأفضل أن نتحاشى استعمال المصطلحات العربية في مقابل المصطلحات الغربية لمجرد وجود معنى جزئي بين هذه وتلك، والا سنرتكب أخطاء جسيمة كما أشرنا. كما نرى أن على الباحث العربي أن يعمل في اتجاهين اثنين معا:

* أن يستنبط مصطلحات عربية جديدة لاستعمالها مقابل المصطلحات المستعملة عند الغربيين.

* أن يستعمل المصطلحات الغربية

مكتوبة بأحرف عربية، ولكن بشرط أن يرفقها بشرح بسيط يضعه ضمن قوسين أو في أسفل الصفحة وذلك بانتظار أن يأخذ البحث اللساني العربي مجراه ويعمق جذوره.

ويجب على الباحث في الحالتين أن يعتمد على:

◦ نظام الصرف العربي في أخراج المصطلح.

◦ وأن يسعى الى توحيد المصطلحات ما أمكنه ذلك.

غموض ولبس

لقد بسطنا الأمور في مقدمة حديثنا، ولكنها في الواقع غير ذلك. فالمصطلحات تكون عقبات عضال أمام الباحث حتى ولو كان من ذوي الخبرة والاختصاص. ولقد أدرك اللسانيون أهمية هذا الأمر، فسعوا لحل المشكلة وتأليف القواميس الخاصة حتى يتمكن القارىء من المادة التي يبحث فيها.

طبيعة المشكلة

ان القارىء سواء كان طالبا أو استاذا أو باحثا الخ... عندما يقرأ كتابا في اللسانية يصادف مصطلحات غير معروفة لديه، كما يجد بعض المفردات التي عرف لها معان بحكم خبرته السابقة، ولكنها لا تتفق وسياق النص اللساني الذي بين يديه، أو لا تنطوي الا على جزء من المعنى المعروف لديه.

ان أول ما يفكر به الانسان في مثل هذه الحالة هو أن يلجأ الى قاموس عادي، كتلك القواميس التي لا تخلو منها مكتبة أي مثقف كان. ولكن سرعان ما يلاحظ أن هذه الكلمات — ان عثر عليها — لا تشكل الا جزءا بسيطا من مفردات اللغة المألوفة أو الشائعة.

وقد يجدّ في متابعة بحثه فيسعى نحو قواميس أكثر اختصاصا، واذ ذاك سيلاحظ أن هذه المفردات تحمل معان خاصة اتفق عليها بين مجموعة معينة من أهل العلم والبحث.

المصطلحات ضمن النصوص

قد يقع القارىء على بعض المصطلحات التي ترتبط بنظرية لسانية معينة كنظرية شومسكي المسماة «Grammaire generative» أو « Structuralisme »، أو «Fonctionnalisme».

وحتى تفهم مثل هذه المصطلحات لا بد من الرجوع الى النظرية نفسها، أو الى المدرسة اللسانية التي أحدثتها، أو الى نوع من القواميس التي تعطي مختصرا عن النظرية.

ان المشكلة لا تقف عند هذا الحد، بل تتعداه الى ما هو اعقد. فتنوع المصطلحات وتعددها لا يأتي من وجود العديد من النظريات والمدارس اللسانية فقط، وانما يأتي أيضا من اتساع رقعة ميادين البحث اللساني. فهناك اللسانية، وعلم الاجتماع اللساني، وعلم النفس اللساني، كل هذا بالاضافة الى علوم أخرى دخلت اللسانية عليها. وان من شأن كل هذا أن يزيد المشكلة تعقيدا.

عقبات في طريق ترجمة المصطلحات

نحن لا نملك لهذه العقبات حلولا جاهزة، ولكننا نعلم أن الباحث كي يصل الى مستوى يستطيع فيه نقل المصطلحات من لغة الى لغة، لا بد له من المرور بمراحل ثلاث: الفهم، التمكن، الهضم الذهني التام. ونسوق هذه الشروط لأننا لاحظنا من خلال بعض الترجمات أن المشكلة لا تزال مطروحة وذلك لعدم توفر هذه الشروط. وسنضرب مثلا على ذلك بمصطلحين لسانيين لا أكثر وهما: «Consonne» و« Voyelle ».

لقد ترجم بعضهم « Consonne » بـ(حرف)، و« Voyelle » بـ(حركة). كما ترجم بعضهم الآخر الكلمة الأولى بـ(الساكن)، وترجم الثانية بـ(صوت اللين). وقد نرى هاتين الترجمتين مختلطتين عند مترجم واحد في الوقت نفسه.

والملاحظة التي نريد أن نقف عليها هي أن المترجم حين نقل المصطلح «Consonne» الى العربية واستعمل المصطلح (حرف) لم يراع ما يعنيه هذا المصطلح عند قدماء النحاة العرب ومحدثيهم: ان كلمة (حرف) تحمل المعنيين اللذين اصطلح للتعبير عنهما عند أهل الغرب بكلمتين مختلفتين. ولا يعقل والحال هذه أن نستعمل المصطلح نفسه لجزء من المعنى، والا فان على القارىء أن يكون على معرفة تمكنه من التمييز بين المصطلح (حرف) في المفهوم القواعدي العربي، ونفس المصطلح في المفهوم الغربي الحديث.

قبل أن نأتي الى نهاية هذا المقال الموجز، نود أن نشير الى طريقة جيدة استعملها الدكتور كمال بشر في نقل مصطلحين الى العربية، أولهما « Phonetics » حسب الكتابة الانكليزية، و« Phonetique » حسب الكتابة الفرنسية، وثانيهما « Phonology » حسب الكتابة الانكليزية، و« Phonologie » حسب الكتابة الفرنسية. أنه يقول:

◦ رأينا أن نعرب المصطلح « Phonetics » الى فوناتيك لا أن نترجمه، لأن ترجمته الى «علم الأصوات» — في سياق المقابلة بينه وبين الفنولوجيا — قد تؤدي الى اللبس. فقد يؤخذ على أن المقصود به دراسة الأصوات العامة، دون تفريق بين جوانب هذه الأصوات أو منهج البحث فيه. ولم نشأ كذلك أن نترجمه الى «علم الأصوات العام» كما يفعل بعض الدارسين معتمدين على صفة العموم في ميدانه وطريقة البحث فيه، لأن هذه الصورة العربية انما تناسب المصطلح الانجليزي الآخر وهو « General Phonetics » (٣)

◦ والمصطلح الثاني وهو الفونولوجيا — «Phonology» فتمكن ترجمته — من وجهة نظرنا — الى «علم الأصوات التنظيمي» أو «علم وظائف الأصوات»، على أساس أنه يعني بتنظيم المادة الصوتية واخضاعها للتقعيد والتقنية، أو أنه يبحث في الأصوات من حيث وظائفها في اللغة» (٤)

اننا نستطيع أن نضاعف الأمثلة، ولكننا نكتفي بهذا القدر، لأن غايتنا الاشارة لا أكثر، وفي النهاية، نريد أن نشد الانتباه الى أن المصطلحات العربية القديمة تقوم على مفاهيم خاصة استعملها النحاة وفقا لحاجات علمية تنسجم مع أغراضهم في البحث والنظر والدرس. ولذلك فانه لا يجوز لنا أن نحملها ما لا تحتمل، أو أن نستعملها دون أن نتأكد من أنها تلبي بشكل لا لبس فيه الاغراض والمفاهيم التي نحن بصددها □

المراجع:

١ — Rudolf Steiner: Gothe et sa conception du monde. P-142. Ed Fischbacher. Paris 1967.

٢ — المقدمة. ص/٥٣١

٣ و ٤ — كمال بشر. علم اللغة العام — الأصوات. ص/٢٨ — ٢٩.

الوحدة الخرساء

شعر: أحمد محمد أبو شلباية / الرياض

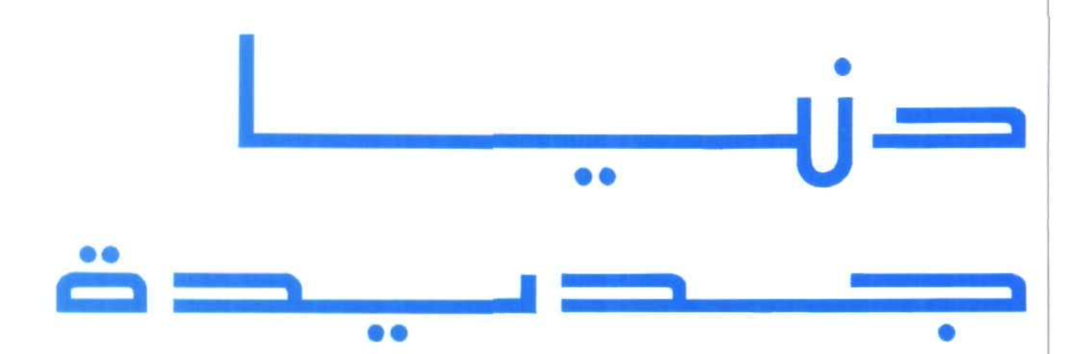
قد لفَّكَ الليلُ فما تصنعُ؟ ونامَتْ الدنيا وما تهجَعُ
ولازمَ السهدُ جفونَ الكرى والوحدةُ الخرساءُ والمضجعُ
أين التي قد فارقَتْ عشَّها؟ باللهِ يا ليلُ أما ترجعُ
كم ودّعَتْ لكن الى موعدٍ واليومَ في الموعدِ لا أطمعُ
لقد طواها الأمسُ فيمن طوى لم يبقَ الا الذكرُ والأدمعُ
ووحشةٌ كالليلِ لكنها.. ما نالها من فجره مطلعُ
قد استوى الليل ونورُ الضحى والروضةُ الغناءُ والبلقعُ

ولَّتْ وولَّى الصبرُ في إثْرِها فما أراني بعدَها أصنعُ؟
ومرَّ من عمري على غفلةٍ شبابُهُ الأزهرُ والممتعُ
مرَّ كطيفٍ من طيوفِ الهوى ان زار آناً في الدجى يُقلِعُ
تلك الفساتينُ على جالها فأين من يلبسْ أو يخلعُ
تضوّعَت طيباً كأن لم تزَلْ عن عودها العطريِّ لا تُنزَعُ
كَمْ رَقَصَت عُجْباً على شوقها تمرح فيها ظبيةٌ ترتعُ
وَحَلْيُها في عُلَبٍ شاقَه الجيدُ والآذانُ والاصبعُ

يا نغمةً قد أُسْكِتَتْ فجأةً فضلَّ في عشوائِهِ المسمعُ
يا بسمةً قد أُطفِئَتْ بغتةً العينُ صارَتْ بعدَها تَهْمَعُ
كلُّ الجراحاتِ لها بلسمٌ الا قضاءَ اللهِ لا يُرفَعُ
والطبُّ واقِ المرءِ الا.. اذا أَصَابَه من قدرٍ مِبْضَعُ
لا تبكِ دنياكَ اذا أدبَرتْ انّ بكاءَ العجزِ لا ينفعُ

يا زهرةً جفَّتْ على عودِهَا لم يبقَ الا شوكُها يسفَعُ
وذكرياتُ الأمسِ طوّافةٌ تقولُ «كانت» فما عسى تشفعُ
فكوكبُ الأسحارِ أن رُمْتَهُ يخبو سريعاً ان بَدَا يلمعُ
والشيبُ قد صاحَ على لِمَّتي وليس بالأشيبِ مَن يُولَعُ
فَلْأذق الوحدةَ من كاسِها والمُرُّ ما أقسى لِمَن يجرعُ

قد زارني الطيفُ على غفلةٍ فقلتُ هل يرجعُ من شَيَّعُوا
والزهرُ هل عادَ الى عودِه والشمسُ صارَتْ في الدجى تسطعُ
والعينُ قد عادَت الى نورها وابتَلَّ من أسقامِه الموجعُ
أمْ أنَّها الأحلامُ قد خيَّلت أم خُلَّبٌ لِلْبرقِ اذْ يخدعُ
يا قلبُ لا تغريك أطيافُها اذا انطوى اليومُ فلا يرجعُ
فارجو الذي يُعطيكَ لا غيرَهُ فإنّ من يعطيك لا يمنعُ
اذا الحياةُ قد نَبَتْ بامْرِئٍ فرحمةُ اللهِ به أوسعُ



دنيا جديدة

بقلم: رستم كيلاني / القاهرة

ألقى بجسده على الفراش، وحملق في سقف الحجرة المشقق، وبدأ القطوب على جبينه، وعلت سحنته جهامة واكتئاب، وأحس في وجدانه بمرارة عندما شدته الذكريات الى الماضي، وأخذ يستعيد ما مر به من أحداث أليمة أصبحت تحتل أكبر جزء في قلبه.. بل في كيانه. سبب مأساته، وضياعه وتغط سماءها القاتمة تلك الظلال من حياته الهانئة.

في ذلك اليوم المشؤوم الذي فزع فيه أهل المدينة مرتاعين على صوت صفارات الانذار، ويصم أذنيه هدير الطائرات المغيرة ودوي القنابل التي بعثت في نفوسهم الهلع.

ولم يشعر بنفسه وهو خارج من المخبأ.. وقد رأى أن متجره قد تهدم فعاد أدراجه مذعورا الى بيته للاطمئنان على زوجته وابنته الوحيدة..

ولكنه صدم.. لأنه لم يجد بيته.. بل لقيه خاويا على عروشه يطوي تحت ترابه أعز ما لديه ابنته.. وزوجته.. أسرته الصغيرة..

وانهار أمله.. وتحطم قلبه الى ذرات.. وقد هدّه الحزن..

ولم يجد مناصا الا أن يترك المدينة تعيسا ضائعا هائما في متاهات الحياة. فلقد ضاق بكل شيء حتى هذه الحجرة التي تأويه ضاق بها أحس بأن جدرانها تكاد أن تنطبق على صدره كغول مخيف، وتكتم أنفاسه..

فلقد أقسم اليوم ألا يعود الى هذه الحجرة من جديد، لأنه





فكر في الخلاص من هذه الحياة. واستسلم لهمومه وأصبح اليأس يسيطر عليه بعد أن ضاقت الدنيا في وجهه وأحس كمن يقف على رأسه والأشياء التي من حوله مقلوبة، كما أصبح الحزن مظهرا طبيعيا من مظاهر نفسه.

وعندما حاول أن ينفذ حكمه على نفسه، تراجع لخوفه من الله وعذابه. وكيف يقدم على هذا الأمر والايمان يغمر قلبه ! !

وعاد الى حجرته من جديد التي يشعر فيها بالوحشة والفراغ الهائل بالوحدة القاتلة التي تمزق روحه. وسرعان ما استبد به الكرى.

وسمع نقرا خفيفا. رقيقا على الباب. فكذب أذنيه. ولكن النقر ترامى اليها مرة أخرى.

وقام بتثاقل شديد، وفتح الباب..

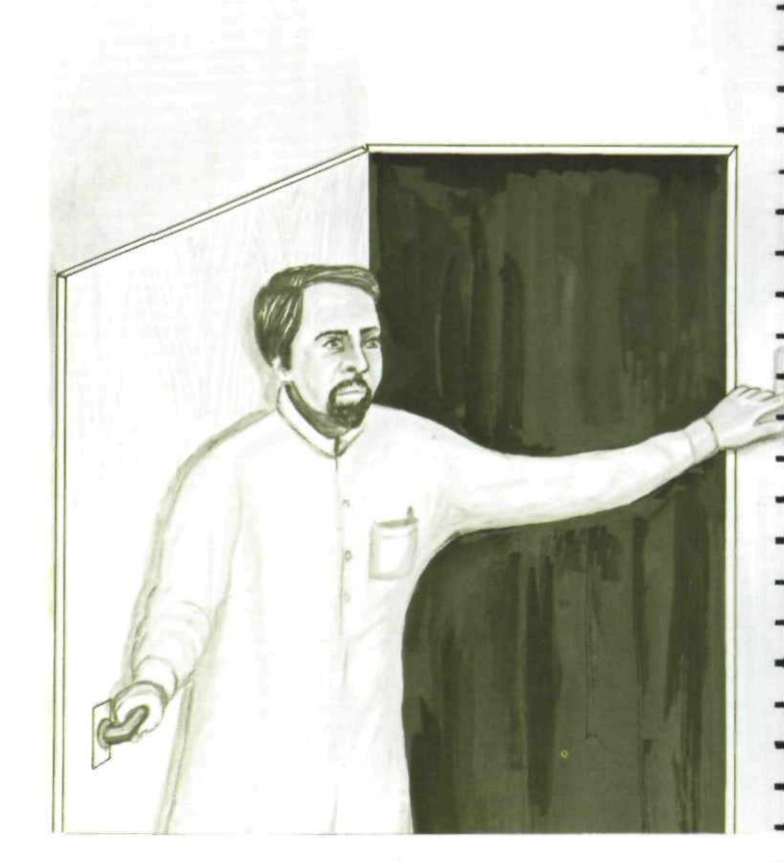
واذا فتاة صغيرة جميلة الوجه، ترنو اليه وقد لاحت على محياها بشاشة، وشعرها الطويل متجمع في ضفيرة واحدة وقد ألقت بها خلف ظهرها، وارتسمت على شفتيها شبه ابتسامة حلوة..

ووقف أمامها مبهوتا، وطفق يتأملها متفحصا لحظات، ولبثت عيناه لا تفارقان محياها وقد عقد ما بين حاجبيه.

وطال به الصمت.. كأنما يقف أمام ابنته الراحلة ينظر اليها. كانت الطفلة تقول في صوت رقيق:

— أبي يريدك الليلة عندنا بالدور الأول.

— ومن والدك يا صغيرتي.



— صاحب البيت.

وربت على كتفها في حنان.. كاد يود أن يحوطها بذراعيه يغمرها بحنانه الأبوي الفياض، ولكن اكتفى بتلك اللمسات. ثم قال لها:

— بلغي والدك انني سأحضر اليه.

— وانصرفت الفتاة تجري في مرح، وشيعها بنظراته حتى توارت.

وعندما احتواه الفراش من جديد، وجد نفسه يفكر في أمر استدعائه المفاجيء لصاحب البيت.

وظل يقلب الأمر على شتى وجوهه واحتمالاته، وتكاثرت عليه التصورات، كما ظل يسائل نفسه:

— يا ترى ماذا يريد مني صاحب البيت؟ هل يعرفني؟ انني لم أره منذ تأجيري لهذه الحجرة الا لماما وهو جالس على المقهى المقابل للبيت. انني منذ حضوري العاصمة ولم أصادق أحداً طوال فترة معيشتي القصيرة كما أنني لم أتأخر عن دفع ايجار تلك الحجرة هل.. هل..

ولم يجد لأسئلته أي جواب، وغرق في دوامة من التفكير والحيرة.

وعندما أقبل المساء.. قابل صاحب البيت، وعرف أنه صاحب متجر كبير، وأنه لاحظ من حديثه معه أنه مهتم به كغريب في هذه المدينة، وطلب منه أن يقص عليه قصته.

وروى لصاحب البيت قصة حياته القاسية التي لعب القدر فيها دورا كبيرا. كان حديثه ولهجته فيها مرارة وأسف، وكانت تعروه نوبة بكاء مكتوم من حين الى آخر. وفي ختام اللقاء، عرض صاحب البيت عليه العمل في متجره للاستفادة من خبراته السابقة حتى يخرجه من عزلته الى النهوض بعمل مجيد، واستئناف عهد جديد..

وملكه ذهول.. ووقف مشدوها لا يكاد يصدق ما حدث وقد احتبس في فمه القول.. وتدفقت دموعه على وجهه المتعب الذي أنهكته المتاعب والأحزان.

وارتقى الدرج الى أعلى الدار..

وعاد الى حجرته من جديد.. دخلها بصدر منشرح. لقد شعر الليلة فقط بأن مسرح وحشته قد أسدل ستاره، والفراغ الهائل والوحدة القاتلة التي كانت تمزق روحه قد انتهت الى الأبد بعد مقابلة صاحب العمارة الذي كان عوضا عما فقده..

ومد يده الى المصباح الكهربي فأضاءه.

وتسمرت عيناه على اللوحة القرآنية التي علقت على الجدار فوق النافذة الصغيرة التي تطل على الشارع الجانبي، والتي تواجه مدخل الحجرة.

وبدأ يتمتم في ايمان عميق بصوت مسموع وكله خشوع لله، عز وجل، بعد أن اختفت من على جبينه تلك الخطوط اليائسة:

—**فان مع العسر يسرا، ان مع العسر يسرا.**» صدق الله العظيم □

الترادف في اللغة

بقلم: عبدالجبار محمود السامرائي / بغداد

الترادف

في اللغة: هو ركوب أحد خلف آخر. يقال: ردف الرجل وأردفه أي ركب خلفه، وارتدفه خلفه على الدابة، ورديفك: الذي يرادفك، والجمع ردفاء وردافى. ويقال: ردفت فلانا، أي صرت له ردفا. قال الجوهري: الردف: المرتدف، وهو الذي يركب خلف الراكب، والرديف المرتدف، واستردفه: سأله أن يردفه، والردف: الراكب خلفك. وعلى هذا قيل للحقيقة ونحوها مما يكون وراء الانسان (ردف).

فالردف: هو ما تبع الشيء، وكل شيء تبع شيئا فهو ردفه، واذا تتابع شيء خلف شيء فهو الترادف والجمع الردافى، يقال: جاء القوم ردافى، أي بعضهم يتبع بعضا، وهذا أمر ليس له ردف أي ليس له تبعة، وترادف الشيء: تبع بعضه بعضا، والترادف: التتابع.

هذا هو المعنى الحقيقي للترادف في اللغة كما اثبتناه، وما هذه المعاني اللاحقة الا طائفة من الاستعمالات المجازية للكلمة التي أردنا بها أن نبين التجوز الذي حصل في استعمالاتها والتوسع في معناها، وما هذا الذي أوردناه الا قليل من كثير.

وأما الترادف في المصطلح اللغوي فهو: دلالة عدة كلمات مختلفة ومنفردة على المسمى الواحد أو المعنى الواحد دلالة واحدة نحو: القنطر والنئطل والدهاويس والدهيم والتجارم والبائجة والفليقة والسلتم والغنفقير والغاصة والأغويّة والوامئة والصليم والغوايل.. وما الى ذلك من أسماء كثيرة (للداهية) وحدها!

ومن هذا كله يتبين لنا كيف اصطلحوا على تسمية الألفاظ التي تتابع وتتوالى على معنى واحد أو مسمى واحد بـ«الترادف» وصارت هذه الظاهرة اللغوية تعرف عند العلماء والدارسين بهذه التسمية اصطلاحا.

نخلص من هذا كله الى أن الترادف هو كما قرر القدامى، تلك الألفاظ المختلفة التي تدل على معنى واحد على سبيل الانفراد. بيد أننا نختلف معهم في تقييدهم الترادف بالوضع، ذلك أنه من الصعب أن نقف على حقيقة الألفاظ تبعا لمعانيها الوضعية في اللغة. فالوضع الأصلي أمر مجهول لدينا لا سبيل الى الوصول اليه والقطع به، لتعلقه بالتاريخ اللغوي السحيق وأوليات اللغة التي يكتنفها الغموض.

وأما اشتراطهم في دلالة المترادفات على المسمى الواحد أن تكون حقيقة لا مجازا، فأمر ليس له صفة الثبات في الألفاظ لاختلاط الحقيقة بالمجاز وتداخلها كثيرا في اللغة. فقد تصير الحقيقة مجازا والمجاز حقيقة، وليس لدينا مقياس ثابت لتحديد ذلك، وانما الأمر مرده الى الحس اللغوي العام.

ولما كانت مسألة الحقيقة والمجاز متغيرة ولا يمكن أن نلتمس الترادف في ألفاظ اللغة بمقتضى الوضع الأصلي، فلا بد ـــ اذن ـــ أن ننظر الى الترادف تبعا للاستعمال، معولين على الواقع اللغوي، ومهتدين في نظرنا اليه بما قرره المحدثون من شروط واعتبارات وجيهة في تحققه، وان كنا نجد صعوبة في تحقيق هذه الشروط في المترادفات في العربية لافتقارها الى المعجم اللغوي التاريخي الذي يقيد استعمال الألفاظ بالزمان والمكان

المعينين، ويعنى بتطورها الصوتي والدلالي.

وعلى هذا، فلا مناص من التعويل على واقع الاستعمال اللغوي مقياسا للترادف، فاذا كان الناس يستعملون ألفاظا مختلفة بمعنى واحد، من غير أن يشعروا بفرق بينها، بحيث يمكنهم أن يستبدلوا كلمة بأخرى فلا يتغير المعنى المقصود، قلنا حينئذ ان هذه الألفاظ مترادفة.

وهكذا يتحقق لدينا ما ذهبنا اليه، من أن الترادف حالة تعرض لألفاظ من اللغة خلال حياتها نتيجة التطور في الاستعمال. وان هذه الحالة ليست ثابتة بشكل دائم ومطلق. (فاذا ما وقع هذا الترادف التام، فالعادة أن يكون ذلك لفترة قصيرة محدودة، حيث أن الغموض الذي يعتري المدلول والألوان أو الظلال المعنوية ذات الصيغة العاطفية أو الانفعالية التي تحيط بهذا المدلول، لا تلبث أن تعمل على تحطيمه وتقويض أركانه. وكذلك سرعان ما تظهر بالتدرج فروق معنوية دقيقة بين الألفاظ المترادفة بحيث يصبح كل لفظ منها مناسبا وملائما للتعبير عن جانب واحد فقط من الجوانب المختلفة للمدلول الواحد).

والحياة تشجع على تغير المفردات وتضاعف الأسباب التي تؤثر في الكلمات. فالعلاقات الاجتماعية والصناعات والعدد المتنوعة تعمل على تغيير المفردات وتقضي على الكلمات القديمة أو تحور معناها. ونشاط الذهن يستدعي العمل دائما في المفردات.

ان أغلب الباحثين الأجانب يستبعدون كثيرا وقوع الترادف التام في اللغة، ويرونه في الألفاظ المتقاربة في الدلالة. على حين يرى بعضهم أن الترادف التام واقع في اللغة، ولكنه نادر الحدوث، ومرد اختلافهم في ذلك الى تباين نظراتهم الى فكرة المعنى اللغوي، وذلك في ضوء مناهجهم النفسية والاجتماعية والمنطقية والفلسفية.. ولعل أهم العقبات التي ذكرها المفكرون والتي تحول دون وقوع الترادف التام تتمثل في المعاني الاضافية والجوانب العاطفية والأسلوبية، وفي ايحاءات الكلمة وما الى ذلك من اعتبارات

ويبدو أن صعوبة حصول الترادف التام مبعثها أن هؤلاء لا يشترطون التطابق الكلي في معاني المترادفات وحسب، وانما يرون أن مقياس الترادف الحقيقي يقوم على مبدأ الاستعاضة، وهو أن نستبدل الكلمة بما يرادفها في النص اللغوي دون أي تغيير في المعنى. وهذا هو المفهوم الدقيق للترادف في فقه اللغة المعاصر. فهناك كثير من الألفاظ التي تدل على معنى واحد ولكنها تختلف من حيث الاستعمال، فلا يمكن أن نستعيض عن الواحدة بالأخرى في جميع الاستعمالات. ولعل أقرب مثال على ذلك في العربية ألفاظ الحرب والوغى والهيجاء، فهي بمعنى واحد. ولكننا نقول مثلا: «الحرب النفسية» ولا يجوز أن نقول «الهيجاء النفسية» أو «الوغى النفسية» وقس على ذلك في كثير من الألفاظ المترادفة التي لا استعمال خاص في سياق معين لا يمكن أن تحل محلها لفظة مرادفة لها.

وحين ينكر المحدثون الأجانب الترادف التام، فانهم يعولون في الواقع على وجهات نظر مختلفة الى المعنى اللغوي، وذلك أن انكارهم يعبر عن تباين مذاهبهم في فكرة المعنى اللغوي وما يكتنفه من غموض. وكثيرا ما تجاوز هؤلاء المعنى اللغوي الى اعتبارات أخرى اجتماعية وثقافية ونفسية وأدبية وأخلاقية، مما يتضح من منحاهم الذي يعتمد تحليل المعنى الضمني والعناصر المتداخلة فيه.

ولعل أهم ما نجده في هذه الأقوال اشارة بعضهم الى أن الترادف ظاهرة غير ثابتة في الألفاظ، لاكتساب الألفاظ المترادفة معاني مختلفة بمرور الزمن، وتخصص كل منها باستعمال معين حتى عدَّ بعض اللغويين هذا الأمر قانونا كامنا في اللغة، وهو ما يسمى عند (بريل — Breal) بقانون التوزيع في اللغة، وضربوا له الأمثلة في عدة لغات. وهذا يؤكد: أن الترادف حالة ليست ثابتة في الألفاظ ولا مطلقة. ويتمثل هذا في أن ما كان مترادفا من الألفاظ قد يصير متباينا، والعكس صحيح أيضا.

وجملة القول، ان الكثرة الكاثرة مما سمي بالمترادف في العربية لا صحة له، وقد كان لخلط جامعي الألفاظ المترادفة ومنهجهم الخطأ في هذا الجمع، أثر كبير في ذلك.

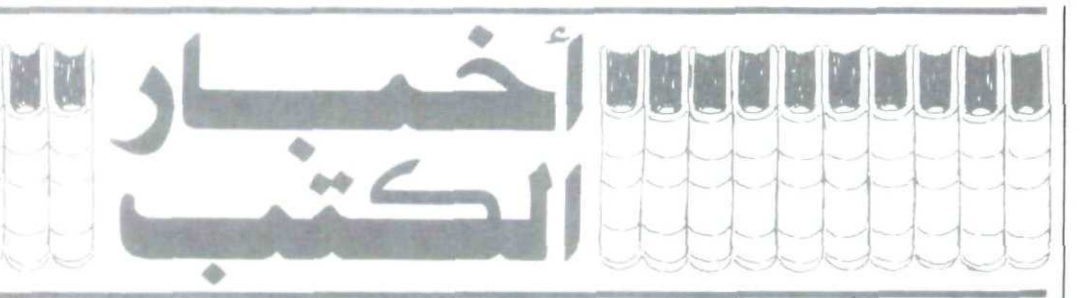
ان الترادف واقع في العربية لا سبيل الى انكاره، وهو موضوع ينميه التطور ويدعمه الاستعمال، ويشهد به الواقع اللغوي، أما هذه الكثرة، فلا صحة لها بالمعنى الدقيق للمترادف.

والترادف، حالة تعرض لألفاظ من اللغة في أثناء حياتها وتطورها، ومن الجائز أن يكون ما كان مترادفا في مرحلة ما، متباينا في مرحلة أخرى والعكس صحيح ما دامت ألفاظ اللغة جميعا عرضة للتطور الدلالي.

وهذا يعني أن الترادف نوع من الترف اللغوي ليس ثابتا في الألفاظ قلما تجود به اللغة بيسر، بسبب مدة تطور اللغة نفسها، وتغير معاني ألفاظها بمرور الزمن، ولأن من طبيعة اللغة توزيع الألفاظ على الاستعمالات المختلفة وظهور التباين في دلالاتها على وجه العموم □

---

١ — التطور الدلالي: تغير معاني الكلمات، وهو ظاهرة شائعة في جميع اللغات أكدها الدارسون لمراحل نمو اللغة وأطوارها التاريخية. ويشبه هؤلاء اللغة في هذه الناحية بالكائن الحي، تخضع لما يخضع له الكائن الحي في نشأته ونموه وتطوره. فاللغة كأية ظاهرة اجتماعية عرضة للتطور في مختلف عناصرها: أصواتها، وقواعدها، ودلالاتها، وان تطورها هذا يجري وفق اتجاهات عامة وفي نماذج رئيسية، وليس تبعا للأهواء والمصادفات، ولا بد لأحد على وقف عملها أو تغيير ما تؤدي اليه، وليس في قدرة الأفراد أن يوقفوا تطور لغة ما، أو يجعلوها تجمد على وضع خاص. ذلك أن اللغة ليست جامدة بحال من الأحوال على الرغم من أن تطورها قد يبدو بطيئا في بعض الأحيان، وتغير المعنى ليس سوى جانب من جوانب التطور اللغوي الذي يتم ضمن طبيعة اللغة الخاصة، فلا شيء ثابت أو مستقر فيها بصورة تامة، فكل صوت، وكل كلمة أو تعبير أو أسلوب، يكون شكلا أو صورة متغيرة ببطء، بقوة غير مرئية أو مجهولة. وتلك هي حياة اللغة.



* أصدر العلامة الدكتور عدنان الخطيب الأمين العام لمجمع اللغة العربية في دمشق دراستين عن مجمعيين راحلين، عنوان الأولى «بدوي الجبل: حياته العاصفة وحبه الذي لا يفنى» وعنوان الثانية «محمد العدناني: حياته وآثاره» ونشرهما مجمع دمشق.

* ومن كتب السير والتراجم ظهرت طائفة جديدة منها: «حسن كامل الصباح: عالم من لبنان» للاستاذ سعيد الصباح بمقدمة للدكتور فؤاد صروف ونشر المؤسسة الجامعية للدراسات ببيروت، و«الخطيب البغدادي وتاريخ بغداد» للاستاذ محمود العبطة ونشر مطبعة الارشاد ببغداد، و«هؤلاء عرفتهم» للأستاذ عباس خضر ونشر دار المعارف في سلسلة «اقرأ»، و«ناجي: حياته وأجمل شعره» وهو دراسة عن الشاعر الراحل ابراهيم ناجي أعدتها لجنة باشراف الدكتور رؤوف سلامة موسى ونشرتها دار ومطابع المستقبل بالاسكندرية.

* «ابن تيمية الفقيه المعذب» عنوان الكتاب الجديد الذي صدر للاستاذ عبد الرحمن الشرقاوي عن دار الموقف العربي.

* كان الشاعر العراقي الراحل بدر شاكر السياب موضوع دراستين جديدتين، هما: «الأداء واللغة في شعر بدر شاكر السياب» للدكتور ابراهيم السامرائي ونشر مجمع القاهرة، و«الرمز الاسطوري في شعر بدر شاكر السياب» للدكتور علي عبد المعطي البطل ونشر شركة الربيعان بالكويت.

* وصدر للاستاذ على عبده بركات كتاب «اعترافات أدبائنا في سيرهم الذاتية» وقد نشرته دار تهامة.

* دراسات أدبية تتناول الحياة الأدبية في البلاد العربية المختلفة صدرت في الآونة الأخيرة، منها: «أدب المرأة في الجزيرة والخليج العربي» للاديبة ليلى محمد صالح ونشر مطابع اليقظة بالكويت، و«الصورة في الشعر السوداني» للاستاذ حسن عباس صبحي ونشر الهيئة المصرية العامة للكتاب في سلسلة «المكتبة الثقافية» و«ظواهر التجربة المسرحية في البحرين» للاستاذ ابراهيم غلوم ونشر شركة الربيعان.

* ومن الدراسات الأدبية التي ظهرت أخيرا: «في صحبة الشعر والشعراء» للأستاذ محمد عبد الغني حسن ونشر عالم الكتب، و«تاريخ التراث العربي» للعلامة التركي فؤاد سزكين وترجمة الدكتور محمود فهمي حجازي ونشر جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية بالرياض و«من جهاد قلم في النقد» للعلامة الاستاذ عبدالله بن محمد بن خميس» ونشر مطابع الفرزدق بالرياض و«المؤثرات الأجنبية في الأدب العربي الحديث» وقد نشرته دار المعارف، و«الأدب المقارن» للدكتور حسن جاد ونشر دار الكتاب الجامعي، و«البطل المعاصر في الرواية المصرية» للدكتور أحمد ابراهيم الهواري ونشر دار المعارف.

* في التربية وعلم النفس صدرت كتب جديدة نذكر منها «ورشة الوسائل التعليمية» للاستاذ محمد يوسف الديب ونشر مكتبة النهضة المصرية، و«الشباب يعود» للدكتورة كلير فهيم ونشر دار المعارف في سلسلة «كتابك» و«علم النفس وقضايا العصر» للدكتور فرج عبد القادر طه ونشر دار المعارف، و«الوسائل التعليمية» للدكتور ابراهيم عصمت مطاوع ونشر مكتبة النهضة المصرية، و«العلوم السلوكية والانسانية في الطب» للدكتور منير فوزي ونشر مكتبة النهضة أيضا.

* من الكتب التي تعالج الموضوعات الدينية صدرت طبعة جديدة من كتاب «الاسلام بين العلم والمدنية» للشيخ محمد عبده نشرتها دار المعارف، وكتاب «تأملات في الفكر الاسلامي» للدكتور عبد اللطيف العبد ونشر مكتبة النهضة، و«الاسلام والمسلمون» للاستاذ فتحي رضوان ونشر دار الشروق، و«الاسلام والاقتصاد» للدكتور عبد الهادي على النجار ونشر سلسلة «عالم المعرفة» الكويتية.

* آراء الفيلسوف البريطاني الراحل برتراند رسل كانت موضوع كتابين جديدين، هما «فلسفة برتراند رسل» للدكتور محد مهران ونشر دار المعارف، و«حكمة الغرب» وهو ترجمة لأحد مؤلفات هذا الفيلسوف ظهر منها الجزء الأول منقولا بقلم الدكتور فؤاد زكريا ونشرته سلسلة «عالم المعرفة» الكويتية.

* صدر الجزء الثالث من «الكتاب السنوي لعلم الاجتماع» باشراف الدكتور محمد الجوهري ونشر دار المعارف.

* في تاريخ العرب صدرت الكتب التالية «صور مشرقة من حضارة بغداد في العصر العباسي» للعلامة ميخائيل عواد ونشر وزارة الثقافة العراقية، و«الأندلسيون المواركة» وهو من تأليف الأستاذ عادل سعيد بشتاوي وتوزيع الأهرام، و«وقفات مهمة في التاريخ الافريقي» للاستاذ عبدالله حسن محمد ونشر دار الرفاعي في سلسلة «المكتبة الصغيرة»، و«لماذا ستطأ الأقدام العربية المريخ» للدكتور المنصف المرزوقي ونشر دار الرأي.

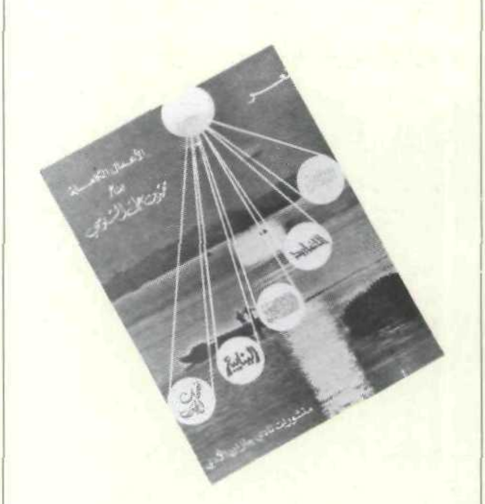
* في الأدب الروائي بفنونه صدرت للأستاذ حسن محسّب روايتان عن مكتبة غريب هما «الغيبوبة» و«وراء الشمس»، وللاستاذبدر الديب مجموعة أقاصيص عن الهيئة المصرية عنوانها «حديث شخصي»، وللدكتور السعيد الورقي مجموعة أقاصيص عنوانها «ايقاعات حزينة من زمن الموت» نشرت في الاسكندرية.

* صدر للشاعر الاستاذ حسن كامل الصيرفي ديوان «النبع» وقد نشرته دار المعارف، وهو رابع ديوان جديد يصدر للشاعر في العامين الأخيرين □

كتب مهداة

* «لا ليلك ليلي ولا أنت أنا» مجموعة قصصية قصيرة، أصدرها نادي الطائف الأدبي، للقاص السعودي الشاب عبدالعزيز صالح الصقعبي، والمجموعة تتألف من خمس وعشرين قصة قصيرة تقع في ٩٥ صفحة من الحجم المتوسط. وتعتبر هذه المجموعة محاولة واضافة جديدة لأدب القصة القصيرة الذي بدأ يشق طريقه ليأخذ مكانته بين صنوف وفروع الأدب الأخرى في المملكة، وقد استمد القاص بعض أحداث ومواضيع قصصه من البيئة المحلية، مما يضفي على المجموعة ذوقا محليا خاصا.

* «الأعمال الكاملة للشاعر محمد بن علي السنوسي» كتاب ضخم من حوالي ٨٠٠ صفحة جمعت فيه الدواوين الشعرية الخمسة للشاعر السنوسي، وتضم جميعها نحو ١٥٠ قصيدة نظمت في مختلف أغراض الشعر. وقد زينت الصفحات بأطر متشابهة شكلا ومختلفة ألوانا. وصدر الكتاب ضمن منشورات نادي جازان الأدبي.



* «في تاريخ العرب والاسلام» للدكتور أحمد عبد الحميد الشامي، أستاذ التاريخ الاسلامي المساعد ورئيس قسم التاريخ بكلية الآداب بجامعة الزقازيق في مصر، ويقع الكتاب في نحو ٣٠٠ صفحة. و«التطور التاريخي لعقود الزواج في الاسلام» و«أوراق البردى العربية» وهما دراستان للمؤلف نفسه، وتقع الأولى في ٣٢ صفحة والأخرى في ٣٠ صفحة.







* في سلسلة «كتاب المدينة» صدر للكاتب حسين حسون مجموعة قصصية بعنوان «المجانين» وهو من اصدارات مؤسسة المدينة للصحافة. يقع الكتاب في ١٠٩ صفحات تضم ثماني قصص عبر عن مواضيعها عنوان الكتاب.



* «الاسلام في نظر اعلام الغرب» للاستاذ حسين عبد الله باسلامه، وهو من اصدارات تهامة في سلسلة الكتاب العربي السعودي، ويقع في أكثر من مئة صفحة. كذلك صدر ضمن السلسلة ذاتها قصة طويلة للدكتور عصام خوقير بعنوان «زوجتي وأنا» وتقع القصة في نحو ٢٠٠ صفحة.

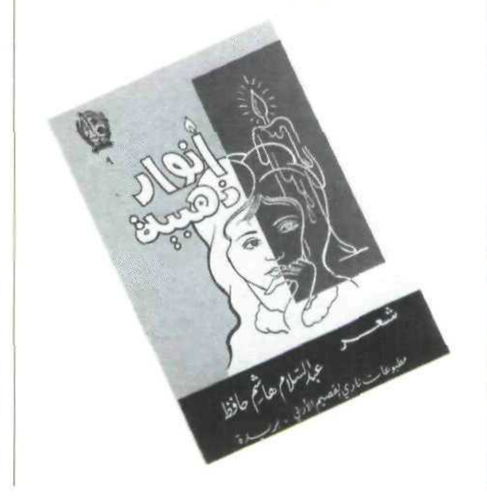


كتب مهداة

* «النزعات الشعرية عند جماعة أبوللو» تأليف أحمد عبدالله البحيي. ويحلل الكتاب الدوافع والحوافز التي أدت الى ظهور جماعة أبوللو التي أخذت على عاتقها تخليص الأدب والشعر من التبعية والارتقاء به الى المستوى اللائق من أجل خدمة التراث الأدبي في مختلف الأقطار العربية. الكتاب من مطبوعات نادي القصيم الأدبي في بريدة.



* «أنوار ذهبية» مجموعة شعرية أصدرها نادي القصيم الأدبي ببريدة، للشاعر والأديب المعروف عبد السلام هاشم وهو من أدباء المدينة المنورة المخضرمين. وتعبر هذه المجموعة من القصائد عن العاطفة، التي تستشف جمال الكون ومخلوقاته من ذكريات القلب الذي هو في ربيع دائم تتفاعل أحاسيسه مع البسمة المشرقة والنسمة العطرة وهمسة الربيع المعبرة عن الجمال والحب والخير.



* «الأدب السعودي المعاصر في الكتب المدرسية» للاستاذ محمود رداوي وهو من اصدارات النادي الأدبي بالرياض. ويقع الكتاب في نحو ٢١٦ من الحجم المتوسط علاوة على المصادر والمراجع التي بلغت ٤٨ مرجعا. وقد استهل المؤلف كتابه بمقالات عن الكتاب المدرسي السعودي الأدبي ومادته، تلاها بمختارات متنوعة للشعراء والأدباء السعوديين ، ومنها في الشعر قصائد في الرثاء والغزل والحكمة والفخر، ومنها في الأدب مختارات في الأدب والنقد والقصة والرحلات والسيرة.

* «العصفور يحاول منع انطباق السماء على الأرض» للاستاذ عيسى الجراجرة، وهو مجموعة من القصص الشعبي الأردني للأطفال، وقد صدر عن وزارة الثقافة والشباب الأردنية وقد جاءت هذه المجموعة القصصية كمحاولة ايجابية للحفاظ على الأدب الشعبي الذي يستلهم أبطاله وأحداثه من صميم البيئة الشعبية.



* ضمن اصدارات تهامة — رسائل جامعية صدر «الحياة الأجتماعية والاقتصادية في المدينة المنورة في صدر الاسلام» للاستاذة نورة بنت عبد الملك بن ابراهيم آل الشيخ يقع الكتاب في نحو ١٩٠ صفحة، وقد نالت المؤلفة بهذا الكتاب/الرسالة درجة الماجستير في التاريخ الاسلامي بتقدير ممتاز من كلية البنات بجدة.



* ضمن اصدارات تهامة — الكتاب العربي السعودي، صدرت الطبعة الثانية من ديوان الشاعر المرحوم ابراهيم هاشم فلالي بمقدمة كتبها الاستاذ عبدالله عبد الجبار. يضم الديوان ٣٨ قصيدة متنوعة الموضوعات والمقاصد وكثير منها صيغ في رباعيات. يقع الديوان في نحو ١٢٥ صفحة من الحجم المتوسط.

* «زهرة عباد الشمس» ديوان شعر حديث صدر ضمن مطبوعات تهامة للشاعرة منى غزال. وقد صدر بمقدمة للاستاذ سليمان العيسى، وبخاتمة للاستاذ ابراهيم العريض. ويقع الديوان في نحو مئة صفحة ويضم ٣٠ قصيدة، لكل منها رسم بريشة نجاح مدني□



اتجاهاتنا نحو المعوقين

بقلم: محمد عبد الرحيم عدس / عمان

كانت التربية الخاصة لسنوات عديدة امرا هامشيا لا تحظى الا بالقليل من الاهتمام، وكان المعوقون من الأطفال يقبعون في زوايا المعاهد أو الملاجيء يقنعون بالقليل، وتخلو تربيتنا لهم من الاعداد والتخطيط، حتى أولئك الذين ابتسم لهم الحظ والتحقوا بالمدارس العادية، كانوا يعزلون فيها عن بقية الطلبة، وكانت لهم صفوفهم الخاصة، ولهم معلموهم، وكان لهم متخصصوهم والمشرفون عليهم، أما اختلاطهم مع أمثالهم من الأطفال الأسوياء فكان يصل الى أدنى حد ممكن.

ان أهم عقبة يواجهها المعوق هو في تقبل المجتمع له، وتقبّله هو لنفسه، فلا ينظر الآخرون اليه نظرة خاصة، تتصف أحيانا بالازدراء والاستهانة، وأحيانا أخرى بالشفقة والعطف، فيشعر والحالة هذه بأنه أصبح فردا تافها لا قيمة له.

ان الانسان اذا ما شعر أنه أصبح عنصرا غير مرغوب فيه، أو أنه أصبح غير ذي بال، أو كان عبئا على ذويه وعلى المجتمع، شعر وكأن مهمته في هذه الحياة قد انتهت. وهو أمر يعكس آثاراً سلبية على روحه المعنوية، وبالتالي على نظرته لنفسه ونظرته لهذه الحياة بشكل قد تدفعه الى الانكماش والانطواء على نفسه، وقد يصبح قوة مدمرة له ولمن حوله عملا بشعور النقص الذي يحمله في صدره، وشعور الحقد والكراهية الذي يكنّه للآخرين، ولسان حاله يقول: عليّ وعلى أعدائي يا رب.

لقد ظهرت حديثا حركة نشطة تعنى بالمعوقين، وتهدف الى تأهيلهم، وبعث الأمل في نفوسهم، حتى يتخلصوا من الكابوس الذي يعانون منه، من نقصهم، أو تخفيف حدّته على الأقل. وتدعو هذه الحركة الى تبنّي اتجاهات جديدة نحو هؤلاء تتمثّل في انخراطهم في صفوف منظمة، وفق برامج معدة، ومخطط لها، تركز على توفير أقصى ما يمكن من البدائل التي توفر لهم الفرص للحصول على أفضل نوع ممكن من التربية يعدهم اعدادا كاملا للحياة، ولكن بالقدر الذى تسمح لهم به قدراتهم وطاقاتهم.

ويبدو أن المربين لم يعنوا العناية الكافية بتقبّل الجمهور للمعوقين من أفراده، مفضّلين أن يتعاملوا مع الطلبة في اكسابهم المهارات القرائية والكتابية أكثر من التعامل مع مخاوفهم، للعمل على تبديدها، أو مفاهيمهم الخاطئة للعمل على تصحيحها، أو قسوتهم على الضعفاء للعمل على تعديلها.

ومع أن لمفهوم الاتجاه تعريفات متعددة، الا أن معظمها يتضمن أمورا ثلاثة:

* نوع الشعور الذي نحس به تجاه شخص أو شيء ما.
* الصورة التي نحملها عن شخص أو شيء ما.
* سلوكنا أو تصرفاتنا تجاه شخص أو شيء ما.

وهذا الأمر ذو صلة قوية بتهيئة أذهان المجتمع ليقبل المعوقين، فسلوك الفرد منا تجاه شخص ما يعتمد على الفكرة التي نحملها عنه، وعلى نوع الاحساس الذي نشعر به تجاهه، وهذان العاملان متكاملان بالنسبة لأي عمل نقوم به، ومن هناك كانت الحاجة الماسة لنتحلى بالمرونة ونبتعد عن التزمّت والتمسك بالمظاهر.

ان الكثير من أحاسيس الطفل، وميوله، وأفكاره، وتوقعاته لما يشاهده أو يدور حوله تتكون وتتبلور في الخامسة أو السادسة من عمره، ومع أن هناك عوامل عديدة تتدخل في تكوين الاتجاهات عندنا الا أن الذي يلعب



دورا بارزا منها هو عدم مطابقة أمرنا لتوقعاتنا الخاصة والفكرة التي نحملها في أذهاننا عن هذا الأمر

فمعظمنا يشعر بالانقباض وعدم الارتياح اذا ما وقعت عيناه على شخص معوق، أو لحق به أذى أو تشويه بالغ، ويمكن أن تكون جذور رد الفعل هذا ممتدة الى المرحلة الأولى من نشوء الفرد وتكوينه.

إن توقعات الطفل الصغير التي يحملها عن الناس لا تعتمد على شكل الآخرين فحسب، وانما تعتمد على حركاتهم وكلامهم، وأساليبهم، وكيف يعملون ويتصرفون. وما دامت الغالبية العظمى من الأطفال تعيش في دنيا لا تضم في ثناياها معوقين، أو من عندهم خلل واضح في السلوك أو الخلق، فان توقعاتهم أو بالأحرى تصوراتهم للناس تخلو من هذه المتغيرات وتبعد عن التصور للانسان السوي السليم الذي لا تزال صورته ماثلة في أذهانهم.

لقد دلت عدة دراسات أجريت على الحيوانات وعلى الأطفال على أنه يمكن اثارة معظم الكائنات الحية لتصبح عضوا نشطا ومكتشفا فعالا للبيئة التي يعيش فيها حتى وان أشبعت حاجاتها الأساسية، والمكافأة الوحيدة التي تحظى بها مقابل ذلك هي الشعور بالسيادة نتيجة سيطرتها على هذه البيئة وتحكمها فيها.

وقد لاحظ « Maslow » أن الطفل الذي ينعم في طفولته بالأمن والطمأنينه لا يرتبك أو يقلق في مواجهته لأي موقف طاريء، وانما يعتبر ذلك فرصة يشبع فيها رغبته في البحث والاستكشاف، بينما يلحق غيره الفزع أو يتخذ موقف الدفاع حين يواجهه مثل هذا الموقف، ولذا فالطفل من الفئة الأولى حين يواجه معوقا لأول مرة يقف في البداية موقف الحذر المترقب، ثم يبدأ مرحلة الاستكشاف التي تساعده على استيعاب هذا العنصر الجديد في تجربته، وهذا يعلل لنا فترة الانتظار التي يمر بها الطفل والتي يلحقها بأسئلة عن هذا المعوق يعقبها فترة من الهدوء.

ان للآباء أثرا قويا ومباشرا على اتجاهات أطفالهم، كمّا ونوعا، فالأب بأفعاله وأقواله هو المثل الأعلى لطفله، وهو المصدر الأول الذي يوفر له المعرفة، ويدفعه نحو السلوك المناسب، واحترام النظام، ويبصره بالتصرف الذي يثاب عليه الانسان أو يعاقب عليه.



ومع أن معظم الناس ليسوا ضد المعوقين، ولا يحملون حيالهم اتجاهات سلبية، الا انهم قد يشعرون بالضيق وعدم الارتياح في علاقتهم معهم، نظرا لغياب الاتصال المباشر معهم، أو لقلة هذا الاتصال. وهو شعور يصاحبه على الأغلب عامل الشفقة، والاحساس بضرورة تقديم العون والمساعدة حين تسنح لهم الفرصة بذلك. وما يحصل عليه الأطفال من ردود فعل آبائهم نحو المعوقين هو مزيج من الأحاسيس والأفكار والميول السلوكية، وهي عناصر تسبب في مجموعها اما اتجاها سلبيا أو اتجاها ايجابيا نحوهم، فاذا كان الخوف والابتعاد هو رد فعل الأبوين، تبعهما الطفل في هذا الاتجاه، واذا تقبلا المعوق كما هو وبكل ما فيه، فان الطفل عندئذ سيمر بفترة الاستكشاف التي قد ينشأ عنها حالة من التوائم مع المعوق.

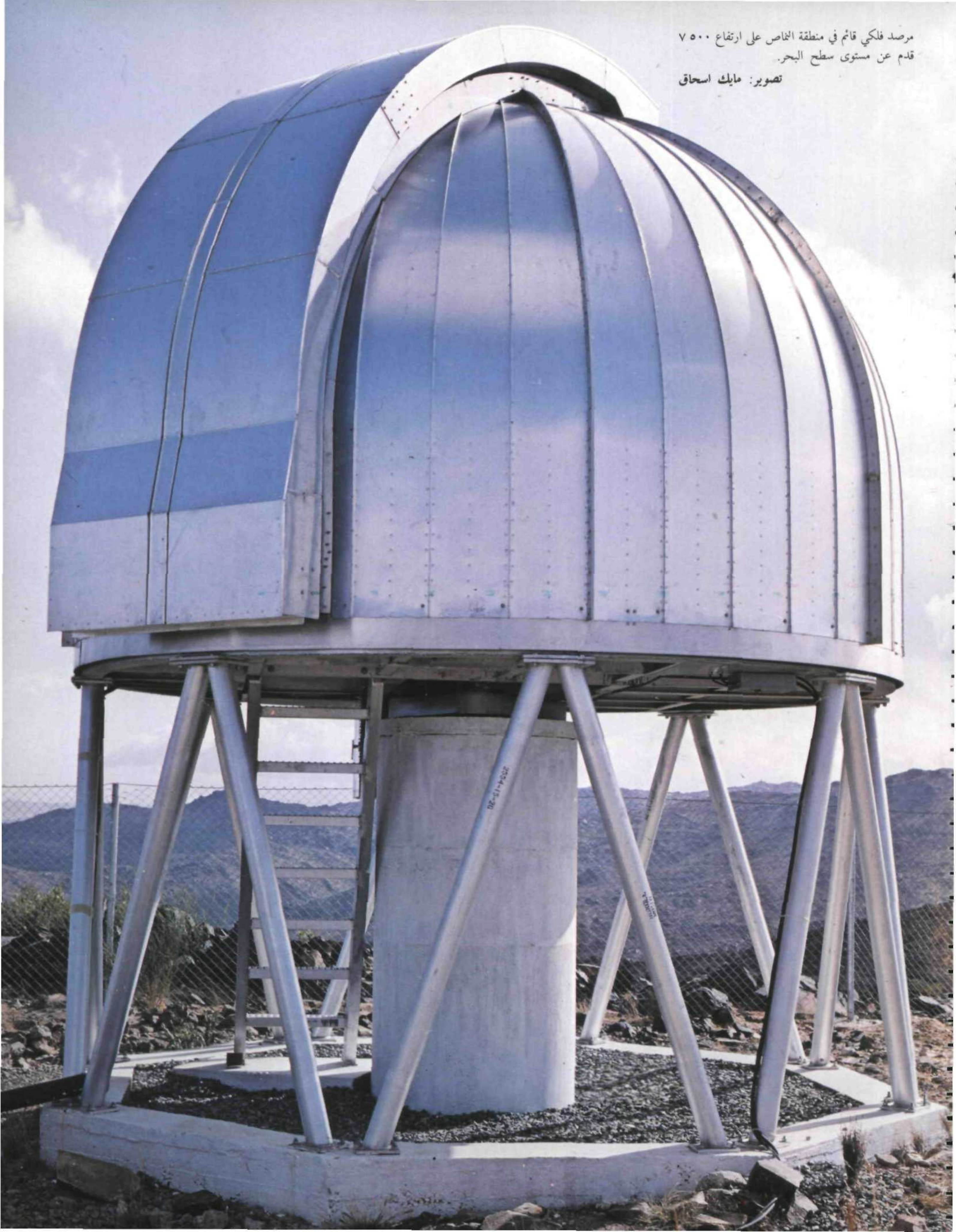
ان الاتصال المباشر بين الأفراد هو أنجع وسيلة لتكوين الاتجاهات نحو بعضهم البعض، غير أن هذا لا يعتبر كافيا بحد ذاته لتكوين اتجاهات ايجابية ما لم يتحقق في ظل جو من التعاون لمتابعة الأهداف العامة لبلوغها مع المساواة في الادوار، وفي القيام بالمهمات، ومن هنا يمكن اتخاذ خطوات أولية من شأنها أن تجعل المعلمين مثالا يحتذى في الاتجاهات الايجابية، وتعزيز أي سلوك يتجه نحو مساعدة المعوقين، ومن ثم تنمية العلاقات بينهم وبين الأسوياء، وهذا ممكن عن طريق عقد المؤتمرات أو القيام بالأبحاث، أو مناقشة أوراق عمل.

ان دراستنا لمظاهر العجز والقصور في أجسامنا، وفي قدراتنا يمكن أن يتم في جميع المستويات وبأساليب مناسبة، نتعرف بموجبها الى حقيقتها، وعلى آثارها، وقد نجد لذلك فرصا متعددة في دراستنا للعلوم والتربية الصحية والاجتماعية وغيرها. ومعارضتنا للاتصال بهم نشأت عن جهلنا بسبل هذا الاتصال في ظل ما عندهم من عجز وقصور وهو أمر يمكن التقليل منه عن طريق التعلم.

وقد يعوذ الاتصال الفردي بقيام صداقات حقيقية، وقد يكون أسلوبا فعالا في تقبل الأسوياء من الأطفال للآخرين المعوقين، غيرأن هذا الاتصال قد يبقى أثره محدودا فلا يتعداه الى الأطفال الآخرين.

ولآباء المعوقين مخاوفهم وشكوكهم من أن ينال أبناءهم أذى أو ضرر اذا ما اندمج هؤلاء بغيرهم نظرا لضعفهم من جهة ونظرة الآخرين اليهم من جهة أخرى، غير أنه يمكن تبديد هذه المخاوف عن طريق تقديم المساعدة الشخصية واعداد البرنامج المناسب، وقد نتردد نحن في الاتصال بهؤلاء الآباء رغم ضرورة قيامنا بذلك لأن معارضة الآباء تقوض كل جهود نقوم بها لتقبل مثل هؤلاء المعوقين سواء في المدرسة أو في المجتمع.

ونحن الآن نمر بفترة ملحة تقتضينا العمل على تطوير البرامج التربوية الرامية الى تعزيز الاتجاهات الايجابية نحو المعوقين، وهو أمر يمثل تحديا بارزا للمربين خلال العقود القادمة □



مرصد فلكي قائم في منطقة التماص على ارتفاع ٧ ٥٠٠ قدم عن مستوى سطح البحر.

تصوير: مايك اسحاق



جبل «أبا الرشاش» من الأماكن السياحية التي يؤمها الناس للمتعة وقضاء الوقت.

تصوير: **محمد صالح الشبيب**